روايات عبير

كاي ثورب

لن أخون حبي

www.elromancia.com

مرمورية

٢١١

مكتبة مدبولي الصغير

روايات عبير

«ABIR» - No. 211

لن أخون حبي

منذ عامين تفرقت بها السبل بعد نهاية حزينة لقصة حبها قصيرة العمر، بسبب شكوكها فى إخلاصه لها.

الآن جمعت بينهما صاحبة الجلالة فى مهمة صحفية إلى اليابان، كان قرار عقلها ألا ترتكب حماقة الإرتباط بمن لا يستحق قطرات قلبها.

لكنه الحب، يطرق أعتى الأبواب المغلقة؛ فتح أبوابها وإخترق كل حصون عقلها، لتجد نفسها فى النهاية غارقة فى حبه؛ الذى سيصعد بها إلى سحابات الإشراق والإخلاص، ويسقيها رحيق السعادة بعد تجرع مرارة الألم.

لبنان ١٩,٢٠ ل.ل	الكويت ١,٥٠٠ د	اليمن ٦,٤٠ ر	السودان ١,٢٨٠ م
سورية ١٩,٢٠ ل.س	الامارات ١٩,٢٠ د	تونس ٢,٤٠ د	
الأردن ١,٢٨٠ ف	البحرين ٢,٤٠ د	ليبيا ١,٦٠ د	U.K. £ 2,40
العراق ٨٠٠ ف	قطر ١٩,٢٠ ر	المغرب ٨ د	France F 16
السعودية ١٩,٢٠ ر	عمان ٢,٤٠ ر	مصر ٢٠٠ ق	Greece Drs 320
			Cyprus P 2,40

الفصل الأول

الشك يا حبيبى !!

ناداها أحدث العاملين وأصغرهم «الريس يريدك يا آنسة داروين» وهو يطل برأسه عبر الحاجز «أخبرنى بأن تذهبى إليه مباشرة».

وضعت أليكس الزجاجة التى بيدها وهى تتنهد، وتطوح بخصلة من شعرها الأحمر الذهبى خلف عنقها وسألته: «هل أخبرك ماذا يريد بالضبط؟».

كان السؤال قد فات أوانه؛ وأزاحت أليكس مقعدها للخلف ووقفت، وهى متأكدة أن «بن» رئيس تحريرها سيكلفها بمهمة جديدة، وعموماً أى شىء سيكون أفضل من الموضوع الذى تكتبه الآن.

كان الطابق الذى به مكتبها ومكاتب باقى المحررين التى يفصلها حواجز يضج بالنشاط كخلية نحل، فلقد أزف موعد صدور المجلة الشهرية؛ وتحقيق كلاً من مستوى التجويد المهنى الراقى والتغطية الدولية الشاملة ليس بالأمر الهين؛ ومهما كانت خطة العدد؛ يحدث دائماً فى اللحظات الأخيرة حذف بعضها وإضافة موضوعات عاجلة، ففى الإسبوع الثالث من الشهر

يصبح القلق إسلوباً للحياة، ومكتب رئيس التحرير واحد من المكاتب القليلة المغلقة دائماً، ولقد وعدت أليكس نفسها بأن تصل لهذه القمة ذات يوم، وعندما دخلت مكتبه كان يتحدث فى التليفون وأشار إليها بيده لتجلس وواصل حديثه «لا يهمنى كيف تحصل عليه، فقط إحصل عليه!» ووضع السماعة منهياً حديثه؛ وسألته أليكس «مشاكل جديدة؟» وأجابها «لا يمكن تجنبها طالما نفتقر التعاون»؛ هو فى الخمسين من عمره، جذاب الملامح ونظراته ثاقبة، ولحيته تغطى نصف وجهه وذقنه، وعندما قابلته أليكس منذ ستة أشهر لم تتخيل أنه رئيس تحرير، ولكنها تأكدت الآن أنه ليس فقط رئيس تحرير جيد بل أفضل رئيس تحرير.

سألها «ماذا يمكننى عمله لك؟».

«أنت الذى طلبت مقابلتى؟!».

وهو يتفحصها «هذا صحيح، ماذا تعرفين عن اليابان؟».

«ليس كثيراً، لماذا؟».

أجابها بن رينولدز «نخطط لنشر قصة صحفية خاصة فى عدد ديسمبر، أريد إظهار التناقض بين اليابان الحقيقية وتلك التى يراها السائحون، أيمكنك إعداد هذا التحقيق الصحفى؟».

وعيناها تلمعان «متى سأسافر؟».

وهو يبتسم «ليس بهذه السرعة، كما تعرفين سيكون الجو حاراً هناك فى أغسطس؟».

«من يهتم بحرارة الجو؟ سأشترى لنفسى مظلة عندما أصل اليابان. وكما قلت متى سأسافر؟».

«هذا ما أريده التشوق واللهفة! هل يوم الإثنين

مناسب؟».

فكرت أن ثلاثة أيام كافية للإستعداد «من سيسافر معى؟».

«الن؟».

هز رأسه «نحن لا نستخدم مصورى الصحف، وستحتاجين لشخص ملم بالبلد التى ستكتبين عنها، شخص سافر اليابان كثيراً ويعرف تقاليدهم وسلوكياتهم، وقواعدها التى يوليها اليابانيون أهمية فائقة، هل سمعت عن جريج وايلد، أظن ذلك؟».

لم تتحرك أليكس، وتجمد وجهها، وعندما تحدثت كان صوتها أجشاً «سمعت عنه».

«حسناً، لقد وافق على أن يصحبك فى الرحلة، وفوق ذلك يمكنه إرشادك للرؤى التى نريد الكتابة عنها من أعماق المجتمع اليابانى، فهو زائر منتظم لليابان منذ سنين، وحتى لغتهم يتحدث بها» وهو ينظر إليها مستغرباً «هل حدث خطأ؟».

حاولت جاهدة أن تبتسم، وتستعيد ثباتها «هل يعرف من الصحفى الذى سيكتب التحقيق؟».

يعرف أنها إمرأة، إن كان هذا مايشغلك» كانت لهجته ساخرة «بمثل مايهمنى، فهو ليس لديه أى تحفظ ضد المرأة».

حقيقى جداً، قالت لنفسها وهى تسخر، فهى لم تقصد هذا، لكنها لم تعبأ بسؤاله «كيف أخترتنى للمهمة؟» وسألته بدلاً من ذلك «تونى جاكمان عادة يتفوق فى إختيارات كل الصحفيين».

«لقد كانت قرعة بينكما وفزت أنت؛ هل ستعيدين

التفكير ؟ » .

مستحيل ، هكذا فكرت أليكس ، فستعجز عن وصف مشاعرها فى تلك اللحظة ، فلماذا يجيء حظها مع جريج وايلد دوناً عن رجال العالم ، أكان لابد من هذا الحظ ! لقد إنقضى عامان منذ رأته آخر مرة . ولا تكفى هذه المدة لنسيان ما سببه لها من الآلام ــ أو لتتسامح وليندمل جرحها ، ومصاحبته لها فى رحلتها لن تستسيغه على الأقل ، ولكن لو تراجعت الآن ربما لن تواتيها مثل هذه الفرصة إلا بعد وقت طويل ، وربما للأبد . لقد غمرها رئيس التحرير بتقدير كبير باختيارها وتفضيلها على تونى جاكمان ، وهو الكاتب اللامع ، والتخلى عن الفرصة سيكون بمثابة لطمة على وجه رئيس التحرير، ولن يتقبلها بسهولة .

فى النهاية قالت له : « لا ، طبعاً لا ؛ فقط أحاول التعاطف مع المهزوم ، هذا كل ما فى الأمر » .

شعور عظيم منك ، واثق أنه يبادلك نفس الشعور » واعتدل فى مقعده عندما سمع طرقات على الباب « مؤكد أنه وايلد » .

لم تتحرك أليكس بينما ينفتح الباب إثر ترحيب رئيس التحرير بالطارق ، أعلنت السكرتيرة إسم الزائر، وأغلقت الباب بعد دخوله ، ودار بن رينولدز حول مكتبه ليرحب به مادا ذراعيه ، « سعيد بمجيئك ؛ أظن ستكون فكرة طيبة لو ناقشنا مزيد من التفاصيل » .

« معقول » سرت الرعشة فى جسدها وهى تستمع لهذا الصوت الذى أيقظ الذكريات « لقد إتصلت ببعض الناس هناك ، ولا مشاكر تذكر» .

« حسناً » وتوقف بن رينولدز، وشعرت بنظراته تخترق ظهرها ، وأجبرت نفسها على الإلتفات برأسها وهو يضيف

« ستلتقى برفيقة سفرك » وشعرت وكأن نظراته تخترق ستائر الماضى .

أومأت « السيد وايلد ، سعيدة بلقائك » لكنه لم يكشف عن دهشته وأجابها « ستكون رحلة ممتعة هادئة » .

تدخل رئيس التحرير « يكفى إسبوعان لإنجاز المهمة ، لقد حجزنا لكم تذاكر السفر، وعندما تصلان اليابان بأمكانكما التجول حسب ظروفكما ، وستجدان حساباً لنفقاتكم به مبالغ ضخمة ، وساكون شاكراً لو إقتصدتم فى الإنفاق فى إطار معقول » .

أجاب وايلد « طبعاً سنفعل ، وأنت تدرك أننا سنمسح كل سطح اليابان فى إسبوعين فقط » .

حول رئيس التحرير دفة الحديث « أليكس هى ستعطى الموضوع عمقه وتغوص فى عمق اليابان » .

إلتفت وايلد « ستفعلين ؟ » .

وقاطعه بن رينولدز « لن تنشر القصة الصحفية إن لم تفعل ذلك ، هل إلتقيتما من قبل ؟ » .

أجابت أليكس « لا ، ونعم ، سأفعلها بجدية يا سيد وايلد ، بنفس الطريقة الجيدة التى ستفعلها بها ، لكننى مندهشة قليلاً لأن تسمح لك إلتزاماتك بقضاء إسبوعين لمجرد المشاهدة السطحية ، هذا كل ما فى الأمر » .

« ربما أقول أنها فرصة طيبة للعودة إلى اليابان فلقد إنقضى عام على آخر زيارة لى ، لكن هذه المرة سأضرب عصفورين بحجر واحد » .

لمعت عيناه الزرقاوين فجأة وكأنه يهدد ، وتراجعت أليكس ، وخفضت عينيها لتحملق فى يديها ، وتتذكر، وسألته « ما هى

خطتك للرحلة ؟ » .

« يومين فى طوكيو كبداية ؛ هناك الكثير مما لا يعرفه السياح ولى أصدقاء فى كيوتو سيقدمون لك تفاصيل الحياة الداخلية للمنزل اليابانى ، بعد ذلك ، شيكوكو تلك الجزيرة ، لتشاهد اليابان القديمة قبل أن تجتاحها الصناعة » .

نظرت إليه مباشرة « هذا لا يكفى مدة الإسبوعين » .

« صدقينى ، ستجدين الكثير لتكتبى عنه ، أنا واثق من هذا » .

وهى تحدق فيه مرة ثانية تذكرت أنه الرجل الذى أنهى علاقته بها منذ عامين ، وهو الذى تسبب فى قطعها ، بلا مبرر وقتها ، مهما قال لها ، يجب أن تترك له فرصة مواصلة إعتقاده بأنها نسيته وتخلصت منه ! على الأقل لتشعر بكرامتها .

سأله بن رينولدز « ماذا عن السكن فى طوكيو؟ هل يجب أن نحجز لكما فى فندق ؟! » .

« محتمل أن نواجه صعوبة فى هذا الوقت من العام ، بصرف النظر عن السياح ، فاليابانيون أجازاتهم فى أغسطس دع الأمر لى ، لدى أصدقاء يمكنهم الحجز لنا فى ريوكين وهو فندق يابانى الطراز كما يقال للسياح الأوروبيين وطالما سنحاول معرفة اليابان على حقيقتها ، فسيكون الفندق تجميعاً لها » .

قالت أليكس ببرود « سأتأكد من إرتداء « الكيمونو » » .

« لتصحبى يابانية المسألة أكبر بكثير من إرتداء الكيمونو كما ستكتشفين ، فبعد السماح بالتأثير الغربى أصبح بلداً آخراً » .

أجابته : « حيث مازالت المرأة مواطنة من الدرجة الثانية كما تسمع ! » .

« يجب ألا أظن أنك تستبقين الحكم ولديك أفكار مسبقة

فى عملك » .

عضت أليكس شفتيها ، مهمومة بتضايق رئيس التحرير وعدم فهمه لهذا الموقف ، طبعاً . حتى لو كان يعرف بعلاقتهم السابقة ، فلن يقدر على إدراك طبيعة رد فعلها . فبالنسبة لرجل من نوعية بن رينولدز العمل أهم من أى إعتبار آخر ، لذا قالت : « سأبذل قصارى جهدى لأظل واسعة الأفق ما موعد إقلاع الطائرة يوم الإثنين ؟ » .

أجابها رئيس التحرير « الحادية عشر والنصف ، وتستغرق الرحلة تسع ساعات ، عندما تهبط الطائرة سيكون يوم الثلاثاء » .

صحح له جريج وايلد « ثمانى ساعات ، بالتوقيت الصيفى البريطانى » .

إعتبرته أليكس متحذلقاً ، وتمنت لو كانت مصورة محترفة كما هى صحفية وكاتبة ، فما كان ممكناً أن تتعرض لهذا الموقف ، وأنهى رئيس التحرير المكالمة التى قطعت إسترساله فى إعطاء ملاحظاته ، وواصلت هى خواطرها ولم تستطع تخمين كيفية شعور جريج بصحبته لها ، ولكنها إستسلمت لشبح الذكرى ، وقصة أول لقاء لها به ....

كانت مهتمة بالمصور الصحفى الواقف فى الجانب الآخر ، خصوصاً عندما حدق هو الآخر فيها بين لقطاته ، كانت تعرفه طبعاً ، جريج وايلد إسم ذائع الشهرة فى عالم التصوير ، ليس صور الموضة فقط بل كل شىء ، ومنذ عدة شهور فقط حقق كتابه عن التصوير الصحفى أرقاماً مذهلة فى قوائم الكتب غير الروائية .

هو نفسه شخصية مذهلة ، بشعره الأسود الفاحم وحيويته

البادية للعيان ورجولته ، التى توضح أنه فى بدايات الثلاثينات مما يجعل لنجاحه مذاقاً خاصاً جديراً بالإعجاب .

إنتهى عرض الأزياء بتصفيق الجمهور وكانت الأزياء كلها للموسم القادم ، والمصمم سيحقق نجاحاً مبهراً ، وقد تنشر مجلتها عنه موضوعاً فى الشهور القادمة ، عندما ينتزع إعجاب الشارع .

وقف الجمهور تأهباً للإنصراف ، ووضعت أليكس مفكرتها فى حقيبة يدها وشقت طريقها نحو باب الخروج ، وفى نهاية الممر وجدت المصور الصحفى قد أغلقه بأدواته ؛ سواء كان مقصوداً أو مصادفة ؛ إلا أنها وجدته يحدق فيها بعينيه الزرقاوين معتذراً « لن أستغرق سوى دقيقة واحدة هل يمكنك أن تمسكى هذه لىّ » وقدم لها عدسات الكاميرا « بينما أبحث أنا عن الغطاء ؟ » .

تقبلت أليكس أمر التأخير ، فعدم رجوعها إلى المكتب ليس بالأمر الجسيم ، طالما أصبحت الساعة الخامسة الآن ، وإعتدل هو بعد أن وجد غطاء العدسة « أعطه لىّ ! وشكراً ؛ هل كنت تتابعين العرض ، أليس كذلك ؟ » .

نعم ، لكن كيف عرفت ؟ » .

أجاب مبتسماً « لقد سألت عنك » .

« لماذا ؟ » .

ضحك « أظن أن هذا واضح ، تعرفين أننى كنت أتابعك » .

إبتسمت « كان إنتباهى مركزاً على العرض ، وهذا سبب وجودى هنا » .

« أنا أيضاً ، فقط ظللت مركزاً عدساتى عليك ، المشكلة أننى أستخدم عدسات مداها بعيد ، أظن يمكننا تناول العشاء

معاً » .

« لا أظن .... » .

قاطعها بلطف « إسمى جريج وايلد ، غير مرتبط موسر ، محترم ، لو كنت بحاجة لشهادة عنى ربما .... » .

ضحكت وهى تهز رأسها نفياً « لا أظن أن هذا ضرورى ، إسم يعلن عن نفسه » .

« هذا مريح ، ماذا إذن ؟ » .

« الوقت مبكر جداً على العشاء ، ومتأخر جداً على الغذاء أو الشاى ! » .

« إذن نتناول كأسين حتى نتيح الفرصة لتبادل الحديث » .

« حديث عن ماذا ؟ » .

« عنا ، لقد تركت سيارتى بعد شارعين من هنا سأحضرها أمام البوابة بينما تقفى بجوار متاعى هنا ، بهذه الطريقة أضمن بقائك حتى أعود » .

رضخت أليكس لخياره ، فلقد إجتذبها جريج وايلد وإستدرجها أيضاً ، فهى لا تؤمن بالتواضع المصطنع وتثق فى جمالها ، ليس بالمعنى الشائع عن الجمال الإنثوى بل الجمال الطبيعى ، ودائماً كان شعرها محط أنظار الجميع ، تلك الجدائل الذهبية التى تطوق عنقها وتتدلى فوق كتفيها وظهرها ، وربما هذا ما إجتذب نظراته المحترفة ، وأياً ما كان سبب سؤاله عنها ، فستذهب معه ، ماذا ستخسره لو فعلت ، لا شىء !! ؟

إنتظرته خارج البهو ، وتحت قدميها حقيبة الكاميرا ، كانت أضواء المساء تلمع ، وبعد ربع ساعة عاد بسيارته الجاجوار الداكنة الزرقة « آسف للتأخير ، ففى هذا الوقت من النهار لا يفسح لك الطريق أحد » .

جلست على مقعدها بينما إستدار هو ليجلس خلف عجلة القيادة، ونظرت فى المرآة لتتأكد من مكياجها، كانت ترتدى جاكت بنقوش سوداء وخلفية كتانية صفراء، وفستان أسود فاتح، وشعرها الطويل يطوق وجهها بنفس اللون، ويسترسل مستريحاً فوق ظهرها، وهى تقوم بتصفيفه مرة واحدة كل ثلاثة أشهر فى صالون راقى، لكنها تغسله بنفسها لأنها لا تستطيع ملاحقة أجور التصفيف والغسل بالشامبو أسبوعياً وإلا لضاع كل راتبها!!

سألها «حسناً، فى الواقع، ألن يضايقك لو عرجنا فى طريقنا لترك أدوات التصوير قبل ذهابنا لتناول المشروب؟ لو سرقت سيارتى يمكن تعويضها لكن أدواتى وأقلامى صعب تعويضها».

لم تعترض «أليس أسهل لك إستخدام التاكسى؟ معظم الناس تفعل ذلك».

«أنا لست أى واحد».

هذا صحيح فعلاً، كما إعتقدت هى أنه رجل متفرد، وسرقت نظرة على جانب وجهه، ورأت أنه ليس أول رجل يجذبها جسدياً بل شعرت بإحساس غير مسبوق وبأن شيئاً ما شيئاً جيلاً قد تحدث بدايته الليلة.

توقعت أن يذهبا إلى الاستوديو، لكنه إتجه إلى شقته فى ويست كيسنجتون «أظننى يجب أن أستحم وأحلق وأغير ملابسى، فأنا بالخارج منذ العاشرة صباحاً، يمكنك البقاء هنا فى السيارة وإنتظارى لو أردت».

«يمكننى مقابلتك فيما بعد، طالما الأمر هكذا».

«لكن هذا لن يتيح لى فرصة الإستزادة من مصاحبتك

عموماً، أعرف مكاناً قريباً من هنا، يقدم طعاماً رائعاً، فهل ستأتين معى أم لا؟».

«لماذا لا؟».

كان المنزل يضم ثلاث شقق فقط، تقع شقة جريج فى الطابق الأول، أدخلها غرفة المعيشة الواسعة المريحة قائلاً لها إعتبرى نفسك فى بيتك؛ وإختفى ناحية غرفة نومه، وبعد ربع ساعة عاد، على جانبى المدفأة كانت أرفف محملة بالكتب، طبعاً عن التصوير، بالإضافة لتنويعات واسعة تكشف عن ذاته، كانت جالسة على أحد جانبى الأريكة تحملق فى كتاب عن الشرائح المصورة (سلايدز) عندما دخل، مرتدياً بدلة زرقاء داكنة وقميص وردى خفيف، ورابطة عنق زرقاء، وسألها «ماذا لو تناولنا مشروباً هنا قبل خروجنا، لدى مجموعة طيبة».

أجابته «لا يهم، أريد كأس حسن بالصودا من فضلك».

«أتريدين ثلج وليمون؟».

«لو كان لديك» وهى تنظر إليه محدقاً فيها، ضحكت «أعرف لم تكن لتعرض لو لم يكن لديك!! لكنها عادة غبية تقولها بدون تفكير».

«لا تفقدى أعصابك منى» إتجه ليفتح دولاب البار ويخرج الزجاجة والكؤوس «لست مؤذياً نسبياً»، شاهدته وهو يتجه إلى الثلاجة لإحضار الثلج؛ مأخوذة بجاذبيته الرجولية، رغم أنها أول من تهزأ وتسخر من فكرة الحب من أول نظرة، لكن يجب عليها الإعتراف بتأثيره الخلاب عليها، فهى تريد معرفة الكثير عنه ــ إقتحام رأسه السوداء ومعرفة جريج وايلد الحقيقى.

صب لنفسه ملأ كأسه ويسكى بعد أن صب لها كأسها،

ومد يده لها «ستأخذ تاكسى، ومع ذلك ستشربين زجاجة بأكملها!» ولمعت عيناه وغطت الإبتسامة شفتيه «لأجل الصداقة القديمة والجديدة».

* * *

طيلة أسبوع ظلا يتقابلان كل ليلة، بالنسبة لها كان إسبوع السماء الصافية وإجتياح عاطفى لحياتها، وجدت فيه كل ما كانت تتمنى أن تجده فى الرجل، وأكثر. وكان مستحيلاً عليها الغوص فى أعماقه وإكتفيت بأن تحتضنه بعقلها وقلبها وتسكنه عيونها وتجعل رموش عيونها غطاءه.

عرفت كل ما أرادت أن تعرفه، قالت لنفسها عندما فكرت فى الموضوع كله: عرفت خلفيته، طموحاته، إهتماماته. لقد أمضى الجانب الأكبر من شبابه فى اليابان، حيث تعيش أسرته من خلال اعمالها هناك، وهناك بدأ عشقه للتصوير عمره إثنين وثلاثين عاماً بينما عمرها ثلاثة وعشرين عاماً، ويتمتع بثقة بنفسه، ويتشابهان معاً فى الحس الفكاهى المرح، وتذوق الموسيقى، حب المسرح وإحتقار كل مظاهر التفاخر والغرور، وماذا يريد المرء أكثر من ذلك؟

فى تلك الليلة عندما إكتمل نسيج قفطان حبهما وتوحدت الأجساد وتواصلت الأرواح، وظلت هى محور أحلامها، فلقد عادا ليلتها من حفل موسيقى إلى شقته لتناول عشاء أعده هو بنفسه، وسألها «كما تعرفين لم تذكرى لى شيئاً عن أسرتك، هل تقابلينهم كثيراً؟».

كانت المدفأة الغازية موقدة، وكانت تشاهد ألسنة لهبها «توفوا جميعاً، فى حادثة موتوسيكل على الطريق، وكان عمرى الثالثة، عشت وماتوا هم».

«آسف، إذن من كان يرعاك؟».

«جدى وجدتى، حتى رحلا أيضاً، والآن، بالكاد أتذكر أمى وأبى، لذا لا تجعل الأسف والحزن يسيطر عليك بسببى، فلقد عشت طفولة سعيدة جداً».

«واثق من هذا، وإلا لما كنت تتمتعين بكل هذا الإتزان».

ضحكت «هل هذا هو رأيك عنى؟».

«معظم الوقت».

«والباقى؟».

«هناك لحظات أشعر وكأنك تبادلينني نفس المشاعر فهل أنا مخطىء».

إضطربت أنفاسها فجأة «هذا يعتمد على نوعية مشاعرك».

وضع فنجان قهوته فوق المائدة وإتجه إليها، وأحاط وجهها بكفيه وقبلها «أحبك وأتوق للإتحاد معك، منذ أول لحظة رأيتك تأكدت أننا كنا واحداً وينبغى أن نعيد وحدتنا».

سألته «هل فعلاً يمكن الوقوع فى الحب خلال أسبوع واحد؟».

«طالما حدث فهو ممكن فعلاً».

وتوحدت الأوصال التى فرقها الجوى والبعاد والتئمت المسافات الفاصلة؛ وتوحدت فى كيان بركانى متقد العاطفة والرغبة، وتمنت أن تسمع منه ثانية أنه يحبها، لكن تلاشت الكلمات، ولم يعد يهم، فلقد قال لها: «نحن متوافقان كلانا ملائم للآخر يا أليكس».

سألته «متى؟».

«غداً أليس ملائماً ؟» .

* * *

فى الواقع الفعلى ، إستغرق الأمر إسبوعاً آخر لتتم الخطوة ، إبان هذا الإسبوع أغمضت أليكس عينيها وسدت أذنيها فى وجه أى شكوك ، فهو لم يذكر لها موضوع زواجها وربما لن يذكره أبداً ، لكنها لم تحصر نفسها فى هم الزواج ، وكل ما تتمناه أن تظل بجواره ، ولا تطمح فى شىء عدا إرتباطها دون قيود تفرض عليها .

مرّ الشهران الأول بأسلوب نمطى ، كانت هناك لحظات خلاف ، وعلى وشك اندلاع التعارك ، ودائماً كان جريج يسوى الأمر ويعود الإئتلاف ، لكن هناك تغيير طرأ عليه تدريجياً ، لاحظته فى بدايته ، كان عمله يضطره غالباً لمغادرة المدينة ، وأيضاً إضطرها عملها ، وعندما قابلت عارضة الأزياء سميتانا برايس بدأت تتشكك حتى فات أوان معرفة الحقيقة ، كانت سميتانا عارضة أزياء لإحدى الشركات التى يعمل معها جريج ، وهى فتاة شقراء جميلة ، وكان لقائها فى حفلة للإحتفال بطرح خطوط موضة جديدة ، وهكذا كانت سميتانا . محط أنظار الجميع ، وربما تدفع عدة ملايين من نساء العالم لتقليدها وشراء منتجات الشركة ، وعندما هنأتها أليكس قالت : «يجب أن أشكر جريج لإتاحته لى هذه المهمة» .

ولم تخطأ أليكس فى التقاط مغزى النظرات المتبادلة بين سميتانا وجريج ، وأكدت سميتانا بقولها : «سأظل دائماً مدينة له بالشكر» .

ضحك جريج قائلاً : «سأذكرك بهذا عندما أعجز عن الإتصال بك وأقف فى طابور الإنتظار !!» .

ليس هناك أمل كبير فى هذا !» .

عندما إتجها بعيداً عنها سألته أليكس «هل أعددت لها دعايتها كاملة ؟» وهما يخترقان الحشد الذى إلتف حول نجمة الليلة «ربما كلفها هذا مبلغاً طائلاً ؟» .

«لم يكلفها بنس واحد ، وجهها حلم لأى مصور ، وجدتها أكثر شبهاً لجريتا جاربو فى تقاطيع الوجه» .

حدق ناحيتها ولم تنفوه بأى تعليق وعلا جبينها تقطيبة خفيفة ، وواصل كلامه «لم تكن واثقة هكذا فى البداية وإن لم ينجح العرض ستواجه وقتاً عصيباً» .

أجابته : «سأثق فى شهادتك لها ، أيمكننا أن نتناول شيئاً ؟ أنا أموت جوعاً !!» .

«أبحثى عن مقعد وسأحضر طبقين ، يجب الحفاظ على صحتك !!» .

عضت شفتها وراقبته وهو يخترق الزحام .

لقد إنقضى ثلاث أسابيع منذ صارحها بحبه آخر مرة ، كان يجب أن تنصرف لأنها لم تستطع التظاهر بطبيعية مشاعرها وإخفاء قلقها ، لم تذكر أبداً إسم سميتانا ، لكنها شعرت بوجودها كطيف جميل يفصل بينهما ، وتغلغل داخلها شك بعلاقة جريج بها ، وعليها تجميع أدلة تلك العلاقة ، وتساءلت ماذا يربطنى به ؟ حياة الحب ، أهذا هو دورى ؟؟

لو جاءت رحلتها إلى باريس فى وقت آخر لغمرتها السعادة ؛ لكن الآن المرح بخيل عليها وهى تستعد لها ، وتقبل جريج سفرها دونما أسف واضح ، رغم توصيله لها للمطار ، وعند بوابة فحص جوازات السفر قال لها : «لو أبلغتنى بموعد عودتك سأجىء لتوصيلك للمنزل» وعندما ودعها بقبلاته قال :

« إنتبهى لنفسك ، هناك أشياء يجب أن نتحدث بشأنها بعد عودتك » .

أرادت أن تسأله ماهذه الأمور ، لكن صوت الإذاعة الداخلية أعلن عن رحلتها ، وشاهدته يودعها بنظراته ، وبعد وصولها باريس قضت ثلاثة أيام مزدحمة ولم يكن لديها الوقت للإتصال به ، وعندما إتصلت به للمرة الأولى فى السابعة والنصف مساءاً ، متوقعة أن تجده ، طال الوقت حتى سمعت من يجيبها ، وكان صوتاً نسائياً « مرحبا ، هنا شقة جريج وايلد » ، كان صوت سميتانا ، لم تشأ أن ترد عليها فوضعت السماعة ببطء ، وأوهامها تنهش دماغها ، ماذا تفعل هناك معه ؟

لكن تدريجياً بدأ صوت العقل يعلو ، ربما تكن موجودة معه ، لكن ليس للسبب الذى يتوهمه خيال الغيرة والشك ، فى الليلة التالية إتصلت به ؛ لكنه رد عليها هذه المرة ، بصوت يفتقد حرارة الترحيب ، مؤكداً أنه حاول الإتصال بها مرتين فى بداية الإسبوع ، وسألها ألم يخبروها برسالته ؟ لم يخبرها أحد ، هكذا أجابته ، وأخبرها « لدى مهمة خارج المدينة غداً ، ساكون فى الخارج طيلة المساء ، لذا لن أتمكن من مقابلتك فى المطار » ولم يذكر لها شيئاً عن زيارة سميتانا .

« لا يهمك ، سأتدبر الأمر » .

« مؤكد سأقابلك بعد يومين إذن » .

جلست تتدبر الأمر فترة ، فلقد إنتهت المهمة ولو سافرت مبكراً لن تخسر شيئاً ، بل ستكون فرصة لإستطلاع الأمر هناك ، فهى تريد الوصول للشقة بأسرع مايمكن قبل وصوله لمعرفة الوضع بأكمله ومحاولة الوصول للحقيقة ، وتقرر ما يجب أن تفعله لو تأكدت شكوكها ، لكن حتى الآن ليس عليها إلا

التعلق بخيط الأمل الواهى ببراءته .

تزامن وصولها للشقة مع رحيل السيدة بورفى التى تعمل على نظافة الشقة مرتين إسبوعياً ، وقالت معتذرة : « لم أستطع تنظيفها هذا الصباح ، بسبب مرض زوجى إضطررت لإنتظار الطبيب » .

أجابتها اليكس « أرجو أن يكون بخير » .

« ليس أكثر من الراحة بالسرير ليومين ، لقد نظفت غرفة النوم والمطبخ ، وسأنظف غرفة المعيشة يوم الأثنين » .

لغياب جريج شعرت ببرودة الشقة وفراغها ، وحلت حقيبتها إلى غرفة النوم ، لتفرغ الأشياء التى ستضعها فى دولابها ، كانت مائدة التسريحة فارغة إلا من الآنية الكريستال التى ورثتها عن جدتها ، فتحت الدرج الذى على اليسار ، وجدت عليه مكياجها مرتبة ، ولمحت حزام حقيبة يد ، ووجدت عليه حرف « ؟ » ، إذن سميتانا كانت هنا فى غرفة النوم ، وجلست أمام هذه المرآة وهى تصفف شعرها وتسوي هندامها !!

لم يلدغها ألم الغيرة ويدمى قلبها فى البداية ، لكنه نما وترعرع ليلتهم كل مابقى من عقل لديها ، وليحرق كل خلايا جسدها ويكويها بناره المتقدة التى لاتبقى ولا تذر ، لم تعد قادرة على التفكير ، أو تدبر ردود أفعالها ، امتدت يداها لتفتح الدولاب وتفرغ أحشائه من كل ملابسها وتملأ به الحقيبة ، وما تبقى من حاجياتها ستأخذه فى اليوم التالى ، قبل عودته ، أما الآن ، كل ما تتمناه أن تخرج من هذا المكان ، تخرج من حياته كلها ، وتتركه لسميتانا لتتمتع به !!

ذهبت إلى فندق ، قضت ليلتها مؤرقة فى خصام حاد مع النوم ، تحاول إستطلاع ما يخبئه لها مستقبلها مراراً وتكراراً ، بلا

ملل، لقد كانت الغلطة غلطتها، طبعاً بأن تثق فى رجل لم تعرفه حق المعرفة، ولم تتخيل ما سيفعله بها، استولت عليها رغبة الإنتقام وكبرت لتصبح وحشاً كاسراً ولتعميها تماماً، وتأسر كل فكرها عما عداها، وأقسمت لنفسها ألا تضيع فرصة للتشفى فيه !!

عندما أشرق صباح يوم جديد لم تتبدد ظلمات قلبها، بل زادها إصراراً على الإنتقام، فى العاشرة وصلت الشقة وخلال نصف نصف ساعة كانت قد غادرتها، وتركت له ورقة تخبره بأنها لن تعود إليه لأن الأمر قد إنتهى، ولم تعد تتحمل تلك العلاقة، وتركت مفتاحها فوق المائدة.

كانت فى مكتبها بالمجلة الذى يقاسمها فيه إثنين من المحررين عندما جاء جريج، ظهيرة ذلك اليوم، لمحته واقفاً عند الباب، وصعدت الروح إلى الحلقوم عندما قال لها: «الآن أخبرينى».

«لم يعد هناك شىء أقوله، آسفة إذا ما بدا الخطاب قاسياً، لكنها أفضل طريقة فى هذا الوقت».

كانت ضحكته تقطر بالاستهزاء والسخرية «القسوة مجرد كلمة، ربما الأنسب الجبن!» ثم خطا داخل الغرفة، وسد الطريق ناحية الباب، وعيناه تشتعل غضباً «من هو الحبيب الجديد فى حياتك؟».

بوجه شاحب «ليس هناك حبيب جديد فى حياتى إن أردت الحقيقة، لم أعتقد أن اللعبة تستحق جهداً!».

«ماذا تقصدين؟».

«الأمر فى غاية البساطة ليفهمه شخص بذكائك، ربما تعتبر نفسك أحد العشاق العظام فى العالم، يا جريج، وإن كان

هناك جبناً فليس هجرانك مبكراً، لقد تعلمت من باريس، فهناك الرجال يعرفون كيف يعاملون إمرأة!».

«أحقاً يعرفون؟ إذن لنعمل مقارنة حالاً؟».

وصل إلى مكتبها قبل أن تتحرك، وأمسك بها بلا رحمة، ولم تستطع الفكاك من قبضته، وشعرت وكأن الأمر كابوس مخيف، وقال لها:

«أنت لا تستحقين عناء التفكير فيك، يكفيك التعلق بهؤلاء الفرنسيين!!».

الفصل الثانى

عودة الغائب

شعرت وكأن صوت إغلاق الباب يصم أذنيها ويتردد صداه فى عقلها، وليعيدها إلى الحاضر ويسدل ستائره على الذكرى، وتستشعر موقفها أمام رئيس التحرير الآن فى حضور جريج، وإنتبهت على صوته «هل أنت معنا؟».

«آسفة، كنت أفكر فيما ينبغى عمله قبل السفر، هل قلت شيئاً؟».

«أقترح أن تذهبا أنت وجريج لترتيب أموركما وتتناولان مشروباً، الآن قاربت الساعة الخامسة، وسأكون مشغولاً فى الساعة التالية».

قالت وهى تنظر إلى الجالس قبالتها: «الوقت مبكر على الشراب».

أجابها: «ليس ضرورياً أن يكون مشروباً كحولياً، هناك مقهى على الطريق» ووقف على قدميه «سنذهب؟».

طالما كان إقتراح رئيس التحرير فليس أمامها بديل آخر، رغم أن الترتيبات يمكن عملها بالتليفون، وطالما أنهما سيسافران إلى اليابان على رحلة الساعة الحادية عشر والنصف يوم الإثنين، فما هى التفاصيل الأخرى المهمة؟

إستبعدت خوفها منه ومن الإقتراب منه، رغم مرور عامين على فراقهما؛ فها هو يظهر فى حياتها من جديد، لن يصبحا أصدقاء مرة ثانية، طبعاً، لكن يمكنها إقامة علاقة عمل ملائمة طيلة الإسبوعين القادمين، خارج العمل والمهمة ذاتها ليس هناك ما يربطهما.

كان المقهى مزدحماً، كان المقعدان الخاليان فقط فى نهاية المقهى، بجوار الأرفف المرصع فوقها الأوانى والأكواب، ذهب هو ليطلب القهوة بينما اعدت هى المقاعد، وقال لها وهو يحمل كعكة شيكولاتة: «لم أتناول غذائى، دائماً أتناول الحلوى، إن كنت تتذكرين».

هزت رأسها؛ فهو يقول كما يشاء، لكنه لن يوقظ داخلها الذكرى المدفونة تحت الرماد، وللحظة جاهد المرح أن يعلو سطح حديثهما، ثم غرق فى قاع الرتابة، دون طوق نجاة من أحدهما، فالموقف ليس مفرحاً على أية حال!!.

وهو يقترب بمقعده منها «لاتكونى متجهمة هكذا، لقد عبرنا الخطأ وتجاوزنا ما هو أسوأ».

كنت أظن أنها مهمة لن تقبلها، فأنت لست متلهفاً على النقود».

هز كتفيه «كما قلت، اليابان وطنى الثانى، عشت طفولتى وصباى هناك، ألم أخبرك بذلك؟».

«أخبرتنى، ولا داعى لنبش الماضى وما حدث منذ عامين يا جريج، لقد نسيته بمجرد فراقنا».

تفحصها بعيونه الزرقاء «كان واضحاً منذ اللحظة التى قابلتك فيها فى مكتب رئيس التحرير أنك لم تنسى أبداً ورغم ذلك يجب ألا تتذرعى بآلام الذكرى وتتجاهلين لقائنا الثانى،

فقط لأريح ذهنك المجهد يا أليكس يا حبى، لقد قبلت القيام بهذه المهمة رغم معرفتى برفيقتى فيها وليس بسببها، وليس لدى أى مطامع فيك».

«إذن لقد تفاهمنا».

«الأصح تساعنا».

لا يهمنى ما تصف به الموقف، إن كنا سنقضى الاسبوعين القادمين معاً، إذن لابد من الوضوح التام، بدون غمز أو لمز، ولا مناقشات شخصية من أى نوع، موافق؟».

«كما تشائين، أتريدين أن آخذك معى للمطار يوم الإثنين».

«شكراً، سأذهب بطريقتى، هل هناك شيئاً آخر تريد الحديث بشأنه؟».

«أظن لا».

«فى هذه الحالة، فلا داعى لإطالة الحديث» وهى تقف وتبعد مقعدها «سأراك فى مطار هيثرو».

«لم تشربى قهوتك».

«أعرف، أشربها لىّ».

كانت تمطر عندما خرجت من المقهى، فى أحد تقلبات هذا الصيف رغم صفاء السماء، ولم يكن هناك فرصة للحصول على تاكسى فى هذا الوقت من النهار، وليس معها مظلة تحميها رخات المطر، وكان عليها أن ترجع لتلوذ بالمقهى حتى يتوقف هطول الأمطار، لكنها لم تسترق الفكرة وفضلت المشى إلى محطة مترو الأنفاق على بعد عشرة دقائق، لكن الإسراع بالمشى فوق أرصفة مبانى لندن ليس سهلاً، لقد إبتلت ملابسها وشعرها تماماً، وخفف عنها أنها كالآخرين قد أخذهم المطر غرة دون

إستعداد وجميعاً يسبحون فى قارب أمطار سحابة صيف، وهى تبحث عن ثغرة بين السيارات لتعبر مفترق الطرق إلى مهبط محطة المترو، جنحت ناحيتها سيارة ووجدته يفتح لها الباب، «إركبى بسرعة، قبل أن يصدمنى أحد!!، ترددت للحظة خاطفة، لأن رفضها كان سيصبح طفولياً، ركبت قائلة: «هذا كثير من الصيف البريطانى! أين كنت تخبىء سيارتك؟».

«عند الركن، على بعد متر، لو لم تكونى متسرعة فى الرحيل، كنت عرضت عليك توصيلك».

«لولا الأمطار لكنت ركبت المترو، مؤكد أنك شربت قهوتك بسرعة».

«لم تكن تستحق أن أشربها».

«والكعكة».

«جافة مثل العظام».

«ليس يوماً موفقاً لك، ولا بالنسبة لىّ على أية حال».

«بل عرفت أسوأ منه، يوم رجعت إلى شقتى ووجدت رسالتك على سبيل المثال».

«أظننا إتفقنا على نسيان ذلك؟».

«واثق أننى أتمنى نسيانه، لكنك إنطباعاً وتأثيراً أبديا داخلى، يا حبى».

«لا تنادينى هكذا!! الشىء الوحيد الذى إنهزم هو غرورك».

«غير حقيقى، لكننى لا أتوقع أن تفهمى العواطف العميقة التى تعتبرينها لعبة» بعد لحظة توقف تغيرت لهجته «كيف أحوالك العاطفية الآن؟».

فى إزدهار، شكراً، كيف أحوالك؟».

«مُرضية، الحياة تسير».

نظرت من زجاج النافذة لتعرف أين هما «لو أنزلتنى عند الناصية القادمة أكون ممنونة، فالمطر توقف».

«ما زلت مبللة الملابس، شقتى تبعد دقائق فقط يمكنك تجفيف نفسك وملابسك هناك، ثم أوصلك إلى شقتك، أليست تلك القديمة أم لا؟».

«لا، ليست القديمة، أسكن الآن فى ويمبلدون وبعيداً عن حقيقة كون شقتك قريبة من هنا، لا أنوى أبداً الذهاب إليها ـ لأى سبب!!».

«لست الوحيدة التى غيرت عنوانها، فلقد أجرت ستوديو جديد؛ وحولت الدور العلوى إلى شقة، فأسعار الإيجار باهظة وخيالية، طبعاً، وهذا سبب آخر لقبولى مهمة مجلة «وورلد» معك، ستساعدنى المكافأة وتتيح لى التمتع بأجازة مجانية».

«أنت ذاهب للعمل، وليس للتسكع!».

«عندما تحين عملك، فكل يوم هو إجازة، واضح أنك لا تشعرين نفس الإحساس، أنت ترتعشين من البرد وبحاجة للتدفئة؟».

كانت ترتجف وليست ترتعش، فلا حيلة لها مع البرد، فهى تشعر بتجمد أطرافها، وتشوش ذهنها، ما زال جريج له تأثير عليها، وهى عاجزة عن إنكار ذلك، ومن الضرورى أن تذكر نفسها دائماً بذلك، وإن لم تؤدى الرحلة المقبلة لها معاً إلى كارثة، يجب أن يجعلوا منها أساساً عادلاً للعمل، فستقبلها المهنى كله يعتمد عليها.

أجابته: «قليلاً، ربما إنخفضت الحرارة عشر درجات تحت الصفر فى النصف ساعة الأخير».

«فى طوكيو ستجدين الجو دافئاً، دافئاً جداً».

وهما يتجهان ناحية كنجز قالت: «لقد حققت نجاحاً باهراً، الجميع يقول ذلك».

سألها: «ألا يجب أن أطور مهنتى؟».

أجابته: «لكن كيف عرف بن رينولدز بأنك ملم بالثقافة اليابانية؟».

«إلتقينا منذ إسبوعين، وجاء فى خلال حديثنا ذكر ذلك، وأظننى صاحب الفكرة الأساسية فى موضوع اليابان».

«لقد أخبرنى بتلك المهمة قبل وصولك بدقائق ولكن يبدو أنك تعرف من قبل».

«ليس أكثر من ساعة، عندما إتصل بى كنت أعرف أن زميلى فى المهمة صحفى».

«مؤكد كان وجودى صدمة لك».

«ليس تقريباً بمثل ما كان لك، أعرف تماماً أنك صحفية فى مجلة وورلد، وكل من يقرأها يعرف ذلك، لقد حققت نجاحاً باهراً لإسمك».

«شكراً، بعد هذه المهمة أرجو تحقيق نجاح أكثر».

«واثق أنك ستنجحين».

إنتهز فرصة وجود ثغرة فى إزدحام السيارات وإنطلق فى شوارع جانبية، وبعد دقائق كانت السيارة تعبر طريقاً دائرياً وتدخل فناء صغير.

«واحتى الصغيرة، بحثت كثيراً لأعثر عليها وبذلت مجهوداً شاقاً لإصلاحها، لكنها تستحق كل بنس أنفق عليها، الشقة هنا فوق، ومدخل الإستديو يطل على شارع كينجز، هيا ندخل».

تابعته وصعدت السلم، وإنتظرت حتى فتح الباب، وفجأة دهمتها ذكرياتها معه، حبها الشديد له وكراهيتها له بنفس القوة، وغمرها شعور غاضب، دخلت خلفه فى طرقة بها أبواب كثيرة، ثم غرفة المعيشة زاهية الألوان والآثاث الجميل، وقالت له: «جميل».

«سأبحث لك عن شىء ترتديه حتى تجف ملابسك إن أردت الشراب إخدمى نفسك».

كان البار فى أحد أركان الغرفة، وتجاهلته، فهى بحاجة للحفاظ على وعيها ناصعاً، وعاد حاملاً روب أبيض، وقدمه لها «هدية من قاصد خير، الحمام ثانى باب أمامك، بعد المطبخ، لو ناولتنى ملابسك سأضعهم فى المجفف».

ردت «دائماً مهتم بنفسك، وبأحدث الأجهزة».

«حياتى اليومية تفرض ذلك، هناك مجفف شعر لو أردت إستعماله».

وجدت فى الحمام كل ما تريده، خلعت الجاكيت والبلوزة والبنطلون وفتحت الباب قليلاً وناولتهم له، ثم إلتفت بالروب، وتساءلت من الذى إشترته له كهدية؟ مؤكد ليست سميتانا، فلقد تزوجت وتعيش منذ عام فى نيويورك.

عندما خرجت وجدته فى المطبخ وقال لها: «أظننا بحاجة لنأكل شيئاً أثناء إنتظارنا حتى تجف ملابسك، كل شىء جاهز أيناسبك لحم الدجاج بالصلصة؟».

«جميل» وظلت مكانها عند الباب تشاهده يحمل الأطباق من الثلاجة «تبدو معتاداً الحياة المرفهة».

أجابها: «ليس كثيراً».

فتح زجاجة خمر، وبدأت هى تشعر بالإسترخاء وهو يتحدث

أثناء تناول الطعام ويحكى عن حياته فى اليابان وإستقرار والديه فى چيرسى بعد تقاعدهما، وشردت أفكارها مرة أخرى لذكرياتها معه، بينما كان يراقبها، وشحذت قوتها لإنتشال نفسها قبيل الغرق فى قاع الماضى، وإستعادت حصورها وسألته «هل يمكننى مشاهدة الإستوديو قبل ذهابى؟».

«لا مانع؛ ليس لدى ما أخفيه».

ضحكت «وأنا أيضاً».

«هل ستحملين ملابسك معك قبل نزولنا حتى يمكنك إرتدائها وقتما تشائين».

«إقتراح جيد، سأفعل ذلك».

كان الطابق السفلى موصولاً بسلم وممر ضيق، أضاء الأنوار، حيث ظهر الاستوديو الصغير والمكتب، وغرفتين مظلمتين، وركن صغير للإستقبال، ولديه الآن إثنين من المساعدين، وموظفة إستقبال قال عنها: «ماندى طموحة جداً وتتمنى الزواج من أحد الأثرياء وتقضى حياتها فى رفاهية».

سألته: «إذن لماذا لاتتزوجها؟».

«لست ثرياً ولا عجوزاً كما تريد، عمرها إثنين وعشرين وتشعر وكأن العالم ساحة تمرح فيها».

شعرت بمرارة «الأفضل أن أذهب لمنزلى».

لم يحاول إثناءها عن رأيها «سأوصلك».

«لا! لقد توقف المطر، وأشك أنها ستمطر مرة أخرى الليلة، سأركب مترو الأنفاق من محطة هولورن وسأصلها فى دقائق».

كل ما كانت تتمناه الإبتعاد عنه الآن وعن كل ما يبعث الماضى ويرتبط بعلاقاتها السابقة، وهو يودعها عند الباب قال:

« أراك إذن فى مطار هيثرو، لقد سلمنى بن رينولدز تذاكر السفر، ربما الأفضل أن تأخذى تذكرتك » تناولتها منه.

أقلعت بها الطائرة، وشاهدت طوكيو من الجو كمدينة عظيمة ويعلوها جبل فوجياما إلى عنان السماء، وبدت كأى مدينة حديثة، نفس الشوارع ونفس الزحام ولم تلاحظ أليكس من يرتدين زى الكيمونو فى شوارع المدينة، ربما يلبسنه فى المنازل، أو الأحياء الشعبية، وفى الفندق الذى رتب جريج الحجز فيه قريب من القصر الإمبراطورى — على مرمى حجر منه، بينما يوقع فى مكتب الإستعلامات كانت حقائبها قد نقلت، وتأملت الزهور المنسقة ببساطة فى الفندق كان الجو منعشاً بخلاف الشارع حيث الحر شديد كانت رحلة الطائرة طويلة لكنها ممتعة، وكل ما تتمناه الآن الغوص فى حمام دافىء وتغيير ملابسها، وتذكرت من قراءاتها أن اليابانيين يغتسلون قبل دخول الحمام، الذين يستخدمونه كأداة للإسترخاء والتأمل.

طيلة الساعات الماضية برهن جريج على حسن صحبته وعونه لها، فلقد إمتلأت مفكرتها بالمعلومات؛ ولو إستمر طيلة الإسبوعين على هذا المنوال لسارت الأمور بشكل طيب، وإلا لكان عليها أن يتخذ كل طريقه بلا ندم.

كانت الغرفة ذات أثاث بسيط وجميل، ويتوسطها مائدة منخفضة حولها وسائد للجلوس، وحديقة داخلية يحوطها حوائط زجاجية وستائر جميلة والأرضية مغطاة بأعشاب خضراء ممهدة ومجففة، جعلتها تشعر بجمال وبساطة هذا البلد.

بينما تنحى المضيفة اليابانية أمامها قالت أليكس: « أظن أن غرف النوم منفصلة؟ وأنا أؤكد على غرفة نوم منفصلة! ».

لم يحرك جريج ساكناً « ها هى، ستعود الخادمة لتفرش

المراتب لنا على الأرض وتجذب الستائر المزركشة لتفصل بيننا وتقسم الغرفة إلى غرفتين، هذا كل ما لديهم، إقبلى أو أرفضى؛ فقط لا تتخيلى أنك ستجدين غرفة فى مكان آخر فى هذا الوقت من العام ».

عضت شفتيها، للمأزق التى وجدت نفسها فيه، ربما كان إقتراحه بالسكنى فى فندق « ريوكين » لهذا السبب، لكنه نصحها « لا تبتأسى، كما قلت من قبل، لن أتطفل عليك، هل تستعملين الحمام أولاً؟ سيجهزون الطعام ويحضروه لنا خلال ساعة ».

إرتعدت وأجبرت نفسها على تقبل المحتوم « إدخل الحمام أولاً، حتى أسوى حاجياتى ».

« لن تحتاجى ملابسك الليلة، الفندق يقدم ملابس جديدة كل يوم » وفتح الدولاب وتناول رداء كيمونو قطنى أبيض وناوله لها « أكثر راحة من الزى الأوروبى يمكن أن تنامى به أيضاً ».

« شكراً، لدى ملابس نومى ».

« يجب أن تتعودى الحياة على النمط اليابانى، وقليل من التجريب لن يؤذى، سأخذ حماماً. ويجب ألا تشغلى نفسك بتصفيف ملابسك فى الدولاب فلن تمكث هنا سوى ليلتين ».

عندما خرج من الحمام كان مرتدياً يوكاتا، وكانت هى تغتسل عند الحوض المنفصل عند الحمام، وعندما تسللت داخل الحمام ليغمرها الماء الدافىء شعرت بالإسترخاء، والتطهر، والرفاهية، وتركت لذهنها العنان لإسترجاع إنطباعاته لصياغة إفتتاحية مقالها الذى سترسله للمجلة ليضعها على الطريق الحقيقى لمهنة الصحافة، ويبتسم لها الحظ؛ فهذه المهمة هى

كل حياتها، وكل ما يجب أن تفعله لتجاهل جريج مجرد إستدعاء صوت سميتانا ترد على مكالمتها حتى يقسو قلبها عليه، شعرت بنعومة ملمس الكيمونو على بشرتها، وشعرت بحريتها بدون جوارب أو حذاء، وصبغت أظافرها بلون وردى وإنتظرت حتى تجف، بإستثناء أحمر شفاه خفيف شعرت بتحرر وجهها من الماكياج، وخرجت لتجده جالساً على وسادة بجوار المائدة، يتصفح مجلة، ودعاها «تشربين قليلاً من الساكى، سيأتى الطعام حالاً».

جلست على وسادة قبالته، متوسدة ساقيها تحتها، وإرتشفت قطرات من الساكى، بينما كان الليل يرخى ستائره، كان هناك زوجين شابين يقفان خارج باب غرفتها متعانقين، وشعرت أليكس وهى ترقبهما بغيرة حادة، بينما علق جريج «الحب حلم الشباب، فى كل أرجاء العالم، ربما هى فى شهر العسل — لا يبصران أحد سواهما!».

«لا تسخر منها، لأنك لا تؤمن بالحب الحقيقى» رفع حاجبيه «من قال أننى لا أؤمن بالحب الحقيقى؟ المسألة فقط فى لقاء الشخص المناسب».

«وأظنك لم تجدها حتى الآن؟».

«إستنتاج ذكى، لكنى لم أفقد الأمل، فهو يورق ويزهر داخلى».

«أتمنى ألا يتأخر الطعام طويلاً».

«أتريدين بعض الساكى» وملأ لها كأسها، «لسنا فى عجلة — لأى شىء، فى هذا البلد، يعد من الأدب تقديم الشراب للآخرين» ومد يده بكأسه لتملأه له، وسألته: «كفاية؟».

«كفاية، أن تلعبى دور الساحرة سيعقد الأمور».

ضحكت وإنتابتها حالة إستهتار «لم أبدأ بعد! ستعرف ورطتك يا جريج؟ أنت مغرور، دائماً مغرور! قبلت هذه المهمة لتجبرنى على التخلى عنها والإبتعاد، أليس كذلك؟ كنت تتمنى أن أفوت الفرصة لأننى لن أجرؤ على المخاطرة بالسفر معك، حسناً، أخطأت، والآن تحمل المخاطرة، لقد وجدت الأمر مسلياً!».

إرتشف مشروبه ثم قال: «لن أناقش هذا معك؛ ويجب ألا أسمع هذا ثانية، دائماً يذهب الشراب عقلك بسرعة، كان يجب أن أتذكر».

«إهتم بأمورك، أنت لن تضايقنى يا جريج بأى صيغة! ليكن هذا واضحاً.. أو لتذهب لمكان آخر!».

«هذا يعتمد على أين سأذهب، لا تدفعينى بقسوة أو ستجدين الأمر قد وصل لذروته، الآن غضبى سريع».

كانت هناك طرقات خفيفة على الباب ثم دخلت نفس الفتاة التى أوصلتهم من قبل للغرفة، كانت تحمل صينية بها أطباق عديدة، سمعته يتحدث معها باللغة اليابانية، كان الطبق الأول بيض بالصلصة قال لها كلى بالملعقة الطويلة الخشبية، كان الطعام شهياً، مع أطباق صينية منوعة، ثم الكعكة، وجدت أليكس صعوبة شديدة فى تناولها بدون الشوكة والسكين، وهى تلعن يوم وافقت على القيام بهذه المهمة، وتلعن وجوده معها، متفوقاً عليها بإلمامه بعادات هذه البلاد وطرقها الغريبة، وتلعن عدم وجود سرير للنوم، ولا أدوات مائدة، ستكون فترة الإسبوعين إختباراً شاقاً بكل المعايير على إستحقاقها للمهمة، لذا يجب أن تعود غداً وتخبر رئيس التحرير بإسنادها

لصحفى آخر ليكتب له موضوعه الثمين !!

قال لها جريج : « ألم تحققى نجاحاً كبيراً ؟ » ومال بجنبه ناحيتها ممسكاً بيدها ليقودها على إستعمال الملعقة الخشبية ، وشعرت بأنفاسه الحارة تدغدغ مسام بشرتها خلف عنقها ، وإجتاحتها لواعج الهوى والحب الضائع ، ويبدو أنه شعر بمثل ما شعرت به لأنه إرتجف وإبتعد عنها « أظنك تعرفين الآن كيفية إستعمالها ؟ » .

« نعم ، شكراً » .

« لن أقدم لك الساكى مرة أخرى » .

أمامها كان العاشقان الصغيران قد غابا عن العالم فى قبلة محمومة ، وأشتاقت هى وبرح بها الهوى ، آه لو عرفت كم ستكون شاقة عليها هذه الرحلة ، لما كانت قد وافقت عليها ، الآن فى هذه اللحظة هناك أمور أهم لديها من المهنة والنجاح الصحفى !!

بعد نهاية الطعام شربا القهوة ، وأعدت لها المضيفة المراتب فوق الأرضية ولأن الجو حار لم تحضر البطاطين ، فكرت أليكس فى سرها ، بعد أن تخرج المضيفة ستفصل غرفتها عن غرفته بالستائر ، حتى يشرق الصباح ويكون لها طريقاً آخر ..

الفصل الثالث

لقاء فى طوكيو

تسللت خيوط نور الصباح عندما إستيقظت أليكس ، وسمعت شقشقة العصافير وتغريد الطيور وترحيبها بصباح جديد ، كانت أصواتها عذبة شجية واضحة ، قالت لنفسها هذه هى اليابان ، تحديداً طوكيو ، لكن الصداع الذى ألم بها أفسد متعتها ، جراء شرب الساكى ليلة أمس ، كان حلقها جافاً ، شفتاها ملتصقتان ، مررت طرف لسانها لتبللها ، وعزمت على الإغتسال وتنظيف أسنانها بالفرشاة ، وتنظيف حلقها لإزالة آثار الساكى وعندما إلتفتت رأت وسادته بجوارها مباشرة ، وأيقنت أنه نام جوارها وكأنهما فى سرير واحد ، على الطريقة اليابانية ، وتوقفت نبضات قلبها ، فآخر ما تتذكره مشهد الخادمة تحمل الأطباق ، كانت ما تزال مرتدية « يوكاتا » هذا ما أعاد لها الطمأنينة ، عدا ذلك ليس هو الشخص النهاز لفرصة فقدانها لوعيها ؛ فلقد أسكرها الساكى ، ربما لن تستعيد توازنها إلا بعد يومين ، ولم يتوقف ذهنها عن التفكير ؛ حتى فتح باب الحمام وخرج مرتدياً بنطلوناً وقميصاً ، وحافى القدمين « صباح الخير ، هل نمت جيداً ؟ » .

حدجته بنظراتها ولم ترد، ربما كانت تريده، لكنها لاتثق به، وما زال أمامها إسبوعان معاً.

قطب حاجبيه «هل إلتهمت القطة لسانك؟».

«ربما أكثر من ذلك، أظنني أشعر وكأنه قد تجمد!».

«ياللعار، دائماً هكذا الساكي الرديء يسبب هذه الأعراض، حاولي أخذ حمام بارد، وأشربي ماء كثير وستشعرين بتحسن خلال ساعة».

وهي ما زالت متشككة «لم تنقل المرتبة ليلة أمس».

«لم تكن تستحق عناء نقلها» وإنحنى ليفتح حقيبته مولياً لها ظهره» بعد أن حملتك لتنامي، شعرت بعدم قدرتي على حمل المرتبة».

متساءلة «حملتني!؟».

«بالتأكيد، وإلا كنت سأتركك تنامين في الصالة».

«لقد هزأت بنفسي».

«لست وحدك، فعلها غيرك كثيرون، دائماً الساكي لذيذ، لكنه يسكر بسرعة».

«بغير ذلك كنت لن تعرف أنني ما زلت متشككة».

«هذه الأمور لاتتغير، ألن تقومي بعد؟ الإفطار سيكون جاهزاً خلال عشر دقائق».

ذهبت إلى الحمام، وإستعادت طبيعتها، وشعرت بإستعدادها لمواجهة ماسيأتي به يومها.

عادت إلى الغرفة الرئيسية لتجد الطعام مجهزاً، والباب مفتوحاً على الفناء الاوسط حيث يهب الهواء المنعش، وتطل الحديقة المزهرة، والنافورة بمياهها المتساقطة، والعاشقان الصغيران يحلقان في عالم أحلامهما، وسألته: «ماذا في برنامج اليوم؟»

وعندما رأت أصناف الطعام تلاشت إبتسامتها، وجدت أرزاً، نوع من الحساء، شرائح سمك نيء، وطبق خضار مثل السبانخ الجافة، تقلصت معدتها، لكنه أشار إلى الطبق «أعشاب بحرية، جربي ستجدينها شهية، ثم أشارت إلى كوب به سائل سميك أصفر وسألته «ما هذا؟».

«بيض نيء مضروب في لبن، أفضل مايمكن تناوله في الأفطار، ويجب أن تأكلي شيئاً».

«ليس الآن، لا أقدر» ثم مدت يدها إلى دورق مزخرف بزينات جميلة، ورفعت الغطاء لتشاهد السائل الأخضر، وحاولت جاهدة تذوقه.

عرض عليها «يمكنني الإتصال بأحد الفنادق الأوروبية ليجهز لك طعاماً ملائماً، ولتنتهزي الفرصة لتشاهدي كيف يقيم معظم السياح الآن، لكن أقترح أن بالجنزا، فهي مكان جيد لشراء أغراضنا الشخصية».

«ما زلت مؤمن بفكرة ضرب عصفورين بحجر واحد!».

«أنا لا أؤمن بإهدار الوقت، فيما بعد ذلك سنزور مسرح الكابوكي، وغداً...» توقف، وهز رأسه «لا فائدة من ترديد كل شيء، فالأمر كله يعتمد على يوكي».

سألته «ما هذا اليوكي؟».

صحح لها «من تكون يوكي؟ هي سيدة لها نفوذ وإختيارات صائبة، إبنة عائلة من كبار العائلات، ستتناول الغذاء في شقتها».

«ليست فتاة تقليدية إذن؟».

تجاهل سخريتها «يمكنك إعتبار يوكي فتاة تقدمية متحضرة، لحسن الحظ أسرتها أيضاً تقدمية ويسمحون لها بحريتها».

«محظوظة يوكى» ونظرت فى ساعتها «ألن تتحرك؟ الساعة تجاوزت الثامنة والنصف».

«أنت متسرعة، الساعة الثامنة والربع، لماذا لاتتجولين فى الحديقة حتى إنتهى من إعداد حقيبة الكاميرا؟ لا أريد حمل أعباء لا طائل منها».

تقبلت إقتراحه، وعندما خرجت شعرت بشدة الحر رغم عدم وضوح الشمس تماماً، وقالت لنفسها: ماذا سيكون الجو داخل المدينة، وسمعته يناديها وهى واقفة تشاهد البحيرة بنافورتها، ولمحته يلتقط لها صورة.

«لست هنا لتهدر أفلامك، أظننا سنحتاجها».

«يمكننى دائماً شراء المزيد، إنها لقطة جميلة، ستعجبك لتضعيها فى ألبومك».

«لن أحتفظ بأى صورة، هل نحن جاهزون؟».

«كما نحن دائماً» ولمس ذراعها مشيراً إلى الطريق جهة اليمين «سنخرج من تلك البوابة، حتى لا نخلع أحذيتنا مرة ثانية».

بمجرد خروجهما إلى الشارع الضيق عادوا إلى القرن العشرين مرة أخرى، عند الناصية وجدوا بار فندق حديث يقدم القهوة والتوست الذى تريده أليكس، كان المكان مكتظاً بالسياح من كل أرجاء العالم، حيث تنتشر المحلات التى تبيع الهدايا والتحف، جميع العاملين يرتدون الملابس الأوروبية، قالت لنفسها: معظم هؤلاء لا يعرفون اليابان التى جئت لأكتشفها، مؤكد أنهم لن يقيموا فى فندق «ريوكين» ما لم يجيدو اللغة اليابانية مثل جريج، مما جعلها تشعر بالإستعلاء والتميز.

كان القصر الإمبراطورى مختفياً وسط أشجار مورقة، حيث لا يسمح إلا بدخول الزوار الذين نالوا شرف دعوة دخوله، وهذه الدعوات نادرة جداً، والإمبراطور لا يرحب بالصحفيين الأجانب والعائلة الإمبراطورية لم تتكيف مع الثقافة الغربية، هذا ما تعلمته أليكس، لكنه إقترح «ما لم نتسلق السور ليلاً لإلتقاط صورة» بينما هما يركبان تاكسى إلى حى الجينزا «لست متأكداً من عقوبة من يضبط متلبساً ربما يشنق، لن يتراجعوا عن ذلك».

إرتعدت غير واثقة إن كان كلامه جاداً أم هزلاً، فهو يبدو هادئاً، غير متأثراً بالحرارة، رغم أنها تشعر بالذوبان من شدة الحر، نظرت من نافذة السيارة عند إشارة المرور، وشاهدت فتاة جميلة مرتدية الكيمونو، وشعرها معكوص بطريقة تقليدية حول رأسها الصغير، وزهرة اللوتس تزينه بحلية معقودة بشعرها، مكياجها شاحب خفيف، يغلب عليه اللون الأبيض يوضح تقاطيع الفم والعيون الساحرة.

أشار إليها جريج «فتاة الجيشا، ربما ذاهبة لتعمل مضيفة على الغذاء لرجال أعمال».

«كنت أظن أن الزبائن هم الذين يذهبون إليهن».

«يعملن بالطريقتين، لكن ذهابهن إلى منزل الزبون مكلف جداً».

وهى ترمقه بنظرة فاحصة «مؤكد أنك جربت ذلك؟».

«جربتها مرتين، أنه لشرف عظيم قضاء المساء فى «عالم الزهور والوسائد» كانت إبتسامته ساخرة «إنها تسلية الطبقات العليا بالإسلوب اليابانى، لكننى سأمتها، وأفضل عليها مصاحبة إمرأة».

«تقصد من الناحية الجسمانية وليس الفلسفية» ضحك «أنا لا أتظاهر بفهم عقلية المرأة، ربما يفهمها قليلون، خذى نفسك كمثال، لأسابيع تؤدين دوراً إفترضت أنه كريه، وما زلت أتعجب لماذا تنشغلين».

كان سائق السيارة مركزاً إنتباهه على الطريق وأذنه على المذياع، وتشككت أليكس إن كان يفهم الإنجليزية وخفضت صوتها «أظننا إتفقنا على نسيان كل ذلك».

«أنت تعقدين الأمر، لست شغوفاً بما يدور فى ذهنك، لكنك تغالطين نفسك، وشعرت بمدى رغبتك ليلة أمس يا أليكس».

شعرت بجسدها كله يرتجف «ليس التواضع صفتك المحببة كل ما كنت أتمناه ليلة أمس أن أستريح وغلبنى النعاس، وكنت أتمنى أن تكون غرفتى منفصلة أو هذا ما سأفعله الليلة».

«إطلبى ذلك من الخادمة، وليس منى، أو إنتقلى لفندق آخر، إن كان يهمك هذا، بالنسبة لى الأمر سواء».

شعرت بالراحة لتسوية أمرها معه، وعندما عادوا إلى الفندق كان النهار يميل ناحية المساء، ولشعورها بالإرهاق من الجو الحار والزحام ومن حجم المادة التى جمعتها فكرت فى الإعتذار عن العشاء لدى صديقته اليابانية حتى تخلو لنفسها وتعيد ترتيب أفكارها، كان حى الجينزا رائعاً، بمحلاته النظيفة المتخصصة سواء فى الشوارع الرئيسية أو تلك الجانبية، وباراته ومطاعمه، وقضوا وقتاً ممتعاً فى مسرح الكابوكى يشاهدون مسرحية تصور الصراع بين الحب والواجب والتى يبدو أنها الفكرة الرئيسية لكل المسرحيات اليابانية، وإنهمرت دموعها مع

الموسيقى التى أمتعت أذنيها، وإلتقط هو صور للمسرحية، وقال لها: «يوكى تتطلع لرؤيتك ويجب ألا تخذليها».

«إن كانت تهمك جداً، أظنك يجب أن تنتهز الفرصة لتنفرد بها وحدك، مؤكد الفتاة التقدمية ليست بحاجة لوجود عزول؟».

تجاهل غمزها «إستعدى للذهاب فى السابعة والنصف الآن أمامنا ساعة».

قالت لنفسها: يجب ألا أنشغل بالجدل حول تلك اليابانية، ويجب ألا تفكر كثيراً فى علاقته بها، ربما لا تزيد علاقتها بها عن علاقة عابرة، وحتى لو كانت علاقته بها جادة، ماذا يهمها؟ لن يكن هو الرجل الذى تفكر به أبداً ثانية، أخيراً فضلت الذهاب معه، إرتدت بلوزة حريرية بيضاء مزركشة بالتركواز، وجونلة بيضاء، وكان هو مرتدياً بدلة بيضاء وقميص أسود غامق.

كان المبنى الذى به شقة يوكى فى حى كيودا، والشقة فى الدور السابع، وصلا إليها بالمصعد، فتحت يوكى نجاسوا الباب، ولم تجدها كما تخيلتها، بل سيدة فى نهاية العشرينات، مرتدية فستان أبيض، ولمعت عيناها برؤية جريج، كانت قبلاتها الترحيبية غربية وليست يابانية، وقالت بإنجليزية فائقة:

«لقد مضى وقت طويل» ونظرت ناحية أليكس معتذرة «يجب أن تعذرينى لحماسى، جريج صديق قديم وعزيز».

أرادت أليكس أن تقول لها لا تهتمى بى، لكنها تراجعت، وقال هو: «ليس قديماً جداً».

إكتشفت أليكس إنهما ليس وحدهما، بل هناك رجلين وسيدة يجلسون فى غرفة المعيشة، واسرعوا بالمجىء للترحيب بهما،

وإنحنوا، كانوا جميعاً يرتدون الملابس الأوروبية، ويتحدثون الإنجليزية، بدرجات متفاوتة.

عرفت أن يوكى مدرسة إنجليزى بالجامعة، وهو ليس إنجازاً شائعاً للفتاة اليابانية، ورغم إغتراب الأربعة كان الجو شبه رسمياً، عندما يتحدث أحدهم يصمت الباقون فى أدب صارم!

شرب جريج الساكى بينهم، وعندما عرضت عليها يوكى رفضت. وجدته مؤثر جداً، أفضل الشاى».

قالت يوكى: «يجب أن تأخذ أليكس لإحتفال الشاى يا جريج، لكن ليس الذى يقام للسائحين طبعاً، سأرتب الأمر كله فى كيوتو».

سألها: «ماذا عن المسألة الأخرى، ألست محظوظاً؟».

إبتسمت وهزت كتفيها «ليس أمراً بسيطاً لإعداده ربما فى كيوتو يمكن عمله، أمى يمكنها مساعدتنا» وافقها: «إن لم تستطع أمك فلن يستطع غيرها، سنسافر غداً ظهراً، متى ستسافرين؟».

«ربما غداً، لكن لإسبوع واحد فقط، لدى تلاميذى الذين يجب أن أهتم بهم».

«إسبوع واحد معك يساوى ألف يوم!».

ردت يوكى «سنجعل منك يابانياً يا إبن وايلد!».

وهما فى التاكسى عائدين لفندق ريوكين سألته أليكس «ماذا ترتب يوكى لنا؟».

«زيارة لبيت الجيشا، أظن أن مشاهدتك لتدريب الجيشا سيفيدك، وصعوبة ترتيب الزيارة لأنهم لا يسمحون لإمرأة أوروبية بدخول البيت».

«لكن المدهش، كيف تستطيع والدتها مساعدتنا؟».

«لأنها كانت فتاة جيشا قبل زواجها، وقبل أن تتخيلى أى شىء فهو لم يتزوجها كفتاة لعوب، لأن فتاة الجيشا المدربة بالطريقة التقليدية تعتبر شيئاً نادراً وله قيمة هنا!».

«سأصدقك».

«أظنك تريدين شيئاً مختلفاً فى موضوعك الصحفى، وأنا شخصياً لا أريد أن تتحول المجلة إلى منبر تشويه وفضائح!».

«سأكتبها بالطريقة التى أراها، وأنت هنا لإلتقاط صور، وليس لتقول لى كيف أؤدى مهمتى يا إبن وايلد!».

إنفلتت ضحكته مفاجئة «أظنها الغيرة بدأت تنهش قلبك، أليس كذلك؟ يوكى أحبطتك بجمالها؟».

«إلى الجحيم!».

فعلاً هناك صدق فى كلامه، مظهرها، ذكاءها، شخصيتها يوكى تتمتع بكل الصفات الجميلة، هكذا فكرت أليكس، وما زالت علاقة يوكى وجريج غامضة عليها، هى أكثر من الصداقة بالتأكيد، لكن لأى مدى؟؟

عند العودة إلى الفندق، قامت إليكس بتغيير مكان وسادتها ومرتبتها بعيداً فى أقصى ركن الغرفة، وعندها فوجئت به واقفاً خلفها، وأمسك بكتفيها وعيناه تشتعل غضباً «إن كان هذا ما تخافين منه فلنبعده عن طريقنا» وإغتصب منها قبلة وعناق ثم أطلقها «لا مفر يا حلوة، لقد سلكت هذا الطريق من قبل!».

«أنت الذى بدأته، أتركنى وحدى يا جريج!».

«إذن لا تحاولين إستثارتى ثانية، إن كنت غير واثقة من قدرتك على كبح عواطفك وإلا فأنت الملومة».

«لست كذلك».

«إذن فى حياتك رجل آخر من نوع خاص؟».

أجابت بمرارة: «أهم مما تتصور!».

«لا أشك فى ذلك» ثم إستدار بعيداً عنها «الأفضل أن تنام مبكراً، يجب أن نستيقظ مبكراً إن كنا نريد الذهاب إلى ميجى قبل الرحيل إلى كيوتو».

كيوتو تحوطها الجبال، تجمع بين القديم والجديد، بها نباتات حديثة جنباً إلى جنب الأكواخ التقليدية وتعيش عائلة نجاساوا فى الجانب الشرقى من كيوتو، منزلهم جميل وكأنه قصر قديم، الأب هارو نجاساوا فى أواسط الستينات من عمره، زوجته ميساكو أصغر منه على الأقل بعشر سنوات، الجميع يتحدثون الإنجليزية بطلاقة، يبدو أن يوكى الإبنة الوحيدة.

المنزل مشيد بالطريقة التقليدية، معظم الجدران الداخلية مكونة من ورق الأرز الثقيل بأطر خشبية، والحمام مضافاً حديثاً إلى المنزل، مبنى حول ينبوع صغير ساخن، مما يجعله مصدر فخر للأسرة، يسع الحمام أربعة أشخاص يمكنهم الاستحمام فى الينبوع الطبيعى، وهناك أرفف حوله، وعلى أحد جوانبه دش حديث للإغتسال والنظافة قبل النزول إلى الينبوع، وكما فى فندق ريوكين حجرة الضيوف يمكن تقسيمها بستارة سميكة ولكل قسم مدخل منفصل من الصالة الرئيسية.

علق جريج «إسلوب تكتيكى للتكيف مع أخلاقنا الأوروبية وتركوا لنا الخيار».

«أمر يجب ألا نهتم به».

لم أعد واثقاً من ذلك، ربما تسرعت فى تقديم عرضى ليلة أمس».

«لم يكن هناك أى عرض!».

«لم يكن هذا إحساسك لحظتها، كان بإمكانى إمتلاكك

دون جهد».

«الجحيم. أقرب لك».

«عموماً سأصبر، ستجدين رداء يوكاتا فى الدولاب أمامك نصف ساعة بعدها سآخذ حمامى».

فهمت أنه يلعب معها، جاءتها الفكرة وهى تسدل الستارة بينهما، وبعد الحمام شعرت بنعومة الرداء القطنى، وذهبت معها ميساكو لتشاهد الحديقة لحين إنضمام الرجال لهن، قالت لها ميساكو: «ليس هناك شىء ستشاهدينه، لكننى أردت أن أنبهك لأمر هام، فى اليابان، الموتى فقط هم الذين يلبسون الكيمونو معقود ناحية اليسار بالطريقة التى تلبسيه بها».

«آه، فظيع! آسفة يا ميساكو».

«أنت لم تكونى تعرفين، ولم تكونى لتقلقى إن لم أقل لك».

«طبعاً لم أكن أعرف، ولن يكن هذا الخطأ الوحيد لى هنا فى بلدكم».

«جريج يعرف تقاليدنا، سيخبرك بها، أنت محط إهتمامه، أظن ذلك، أكثر من زميلة؟».

«إعتدنا أن نعيش معاً».

«ليس الآن؟».

«لا، بيننا سوء تفاهم».

«آه، دائماً بين الرجل والمرأة، سأجهز لك غرفة أخرى، لكن يوكى هى التى أخبرتنى.. يمكن تعديل الوضع».

بسبب خوفها من ظنه أنها التى طلبت ذلك «لا حاجة لإرهاقك، يمكننا تدبر الأمر».

«كما تفضلين، أيمكننا العودة للمنزل؟ بدأت الدنيا

تبرد».

كان جريج وهارو يجلسان حول المائدة يشربون البيرة اليابانية فى غرفة الجلوس، وطلب أليكس الشاى، بينما إبتسم لها جريج، وقامت على خدمتهم واحدة من الفتاتين اللتان تعملان فى المنزل، وكان الطعام شهياً.

قالت موساكا: «إتصلت يوكى اليوم لتخبرنى أنكما تريدان مشاهدة منزل الجيشا، لن يكن الأمر سهلاً، لكن سأبذل قصارى جهدى، الأجانب دائماً يسيئون فهم ما تقمن به فتيات الجيشا».

أكدت أليكس لها «عقلى متفتح، أنت كنت فتاة جيشا كما فهمت؟».

«فعلاً، إلتحقت بـأوكيا فى عمر الثانية عشر فى عمر السابعة عشر بدأت أقوم بواجبى، وفى عمر الخامسة والعشرين تزوجت هارو، ولست آسفة على تلك السنين، تعلمتها كثيراً» ضحكت، «رغم أننى أحياناً أضبط هارو منتبهاً لحديثى بنفس الطريقة التى كان يفعلها عندما كنت فتاة جيشا! هو زوج ممتاز، ليس هناك أفضل من ذلك!».

فى العاشرة إنصرفت أليكس لتكتب ملاحظاتها وإنصرفت ميساكو أيضاً وبقى الرجلان يكملان شرب البيرة.

بعد فترة راجعت ما كتبته وتجدد عزمها على ألا تضيع فرصتها فى تحقيق شهرتها الصحفية.

الفصل الرابع

فتاة يابانية

قضت ليلة الخصام الكبرى مع النوم؛ ولازمها الأرق كضيف ثقيل لا مهرب من ضيافته ولا أمل فى رحيله، وعندما قاربت الساعة السادسة صباحاً تسللت بهدوء وجمعت حاجياتها وخرجت من فتحة الجزء الخاص بها من الغرفة إلى الصالة الرئيسية ثم إلى حمام المنزل، ففى هذا الوقت حيث ما زال الجميع نيام، يمكنها تجريب هذا الحمام اليابانى العجيب دون إزعاج، عندما وصلته أمضت عدة دقائق فى الإغتسال قبل نزول ينبوع الحمام الطبيعى، وجلست على أحد الحواف على سطح الحمام، وأغلقت عينيها وحاولت الإسترخاء، وهى تؤكد لنفسها بأنها ستكون أكثر إنضباطاً وتحكماً فى ردود فعلها الجسدية والذهنية عندما تقابله المرة القادمة. وهذه هى الطريقة الوحيدة التى ستتبعها فى الأيام المقبلة.

اليوم الجمعة، ورحلة العودة بعد إسبوع، يوم الإثنين بعد المقبل، وبعد مغادرة كيوتو ستتمسك بالإقامة فى فندق أوروبى الطراز، بينما تتابع أفكارها وهى مغمضة العين سمعته يسألها: «تكتشفين فوائد الحمام؟» فتحت عينيها لتجد طيف خيالها

واقفاً بجسده أمامها، وسبقته إبتسامته الساخرة قبل أن يقول: «كان يجب أن تتركى إشارة عند الباب».

أجابته ساخرة: «وهل كانت ستمنعك عن الدخول؟».

«هذا يعتمد على ما يكتب عليها» وهو يتفحصها بنظراته «هل نمت جيداً؟».

كان روبها معلقاً بعيداً وليس فى متناولها، بحيث يجب أن تخرج من مياه الينبوع قبل أن تطاله يدها، وأجابته: «نعم وأنت؟».

«نوماً يائساً، فأنا أعانى من الإحباط».

«يوكى ستحضر الليلة، ربما تشفيك من إحباطك».

«إتركيها خارج موضوعنا، فهذا أمر بيننا».

وبدأ الإغتسال تحت الدش، ثم نزل إلى الحمام وهو يتطلع إلى الدهشة التى إرتسمت على وجهها «أى شخص سيظن أنك للمرة الأولى تشاهدينني عارياً، إهدئى الحمام وجد لهذا».

«هل هذا سيكون رأى ميساكو عندما ترانا معاً فى الحمام ظننت أن الحمام المختلط مكروه هذه الأيام؟».

«بالنسبة للعامة، لكن فى الحياة الخاصة كل حسب رأيه».

«تقصدين بين الكبار فقط».

أثارته سخريتها «شبه ذلك، الذين يستحمون معاً يقيمون معاً، ربما يتوجب علينا القيام بأكثر من ذلك».

«لن يغير من الأمر شيئاً فى نهاية المطاف».

«إن كنت تقصدين شعورك بالملل سريعاً، فأنت كما أنت ما زلت، أحتفظ بخطابك لى، فكرت مرة فى وضعه داخل

برواز، مشكلتك يا أليكس، أنك تريدين فقط الشىء الذى لا تحصلين عليه، حسناً، لهذا الإعتبار قررت أن نتسامح ونتصالح، ما رأيك؟».

فى ضيق «أنا خارجة من الحمام».

«ليس قبل أن أخرج، ...».

فى يأس «ما مغزى ذلك؟».

«إعتبريه تعويضاً، فأنت ما زلت تشعلين النار فى عروقى يا عزيزتى حتى لو كنت شيطانة!».

«ربما لدى مبرر قوى لأكون كذلك، هل حدث ذلك لك من قبل؟».

«إذن أخبرينى».

تراجعت قدر جهدها، ورأت الأفضل تركه يعتقد فيما يراه عنها، وألا تخبره بحقيقة كيفية جرحه لمشاعرها منذ عامين، وأن تحرمه من نعمة الرضا بمعرفة حقيقة مشاعرها السابقة نحوه وقالت: «إعرفها بنفسك».

ضحك «لا تراجع، يا للمرأة!».

مد يده وأمسك بكفها ليجذبها ناحيته، وحاول أن يقبلها وقاومته، وقبل أن تستسلم له تركها «ما زلت نفس الزهرة البرية كما عرفتك أول مرة، أتتذكرين؟».

«أتذكر، أتذكر كل شىء يا جريج، كل دقيقة ملعونة!! إن كان هناك شيئاً تعلمته فى العامين الماضيين فهو يقينى بأن الحياة ليست متعة الجسد فقط!».

«إبتسم هازئاً منها «عبارة طموحة! حان وقت الإنصراف أمامنا الكثير لإنجازه».

أغمضت عينيها وهو يخرج من الحمام مصممة على ألا

تسمح بحدوث ذلك مرة أخرى، وخرجت هى الأخرى، وذهبوا فى جولة سياحية عبر المدينة، وزاروا عديد من المعابد وقلعة ينجو وقصورها وحدائقها، وصعدوا برج المدينة لمشاهدتها من أعلى، وجدت أن كيوتو مدينة المتناقضات بناطحات السحاب ذات الأدوار الأربعة عشر وطرقها العلوية، والأسواق المركزية تحت الأرض، وبينها معابد لا تحصى، ومتاحف ومطاعم، وتمنت أن تحوز تعليقاتها إعجاب رئيس التحرير، من الناحية المهنية الخالصة كان جريج مغرماً بسرعة لقطاته وتفردها، وربما لن يستخدم منها سوى إثنى عشر صورة فقط، وعلى أية حال، فكل ما أردته المجلة بوجوده معها هو فتح الأبواب المغلقة، كانت الدعوات للضيافة فى بيوت يابانية قليلة، وربما لن يكن متاحاً لها دخول منزل عائلة يوكى بدونه، تناولوا غذائهم فى أحد مطاعم ياكى حيث جلسوا حول مائدة منخفضة، وشاهدوا الطباخ يجهز الطعام، وسألها: «كيف سيكون موضوعك الصحفى؟» ولم ترفع عينها عن طبقها «جيل، شكراً» أكد لها «إهتمى بالرأى الموضوعى».

«برأيك!!».

«لم أتعود على الآراء المسبقة، ولكن إن كانت أمامك متاعب..».

«من قال أننى أواجه متاعب؟ إهتم بعملك فقط يا جريج، وسأقوم أنا بعملى!».

«لقد سهرت ليلة أمس حتى الواحدة صباحاً، وهذا علامة على قلق ذهنى، لماذا لا تتركى كتابة القصة الصحفية عدة أيام؟».

«لأننى لا أحب هذه الطريقة فى العمل، أحب كتابة

إنطباعاتى وهى حية، ولا أعتمد على الملاحظات لو أردت مساعدتى، فقط أتركنى وحدى!».

هز كتفيه «سهل جداً، لكننا زميلان يا عزيزتى سواء أردت أو لم تريدى».

«تعرف ما أعنى، هذا الصباح...» توقفت وزمت شفتيها، وإبتسم هو ثانية «كما قلت، أنا مستعد لتجاهل رغباتى ونزواتى؛ خصوصاً إذا كان سيساعدك على تركيز عقلك فى عملك» ونظر إليها مبتهجاً بإنتصاره «لا تجهدى نفسك لتقولى أننى مخطىء، لقد عرفت تماماً وأدركت ما كنت تريدين صباحاً».

قالت بمرارة: «أنت لم تعرفنى أبداً يا جريج!!».

تغيرت لهجته «أتحدث فقط عن الإحساس الجسدى، فى هذا الخصوص لم تخفى شيئاً، ولا يهمنى الإعتراف بأننى عجزت عن نسيانك، لكنك على حق فيما يخص إساءة إستعمال حمام المنزل، لكن ماذا عن الليلة؟».

إحتدت لهجتها الغاضبة «ماذا عن وقف هذه اللعبة السخيفة؟».

بهدوء «من الذى يلعب بالآخر؟».

لم تجب، ليس لديها ما تقوله، ولو شجعته قليلاً، سيصل بالأمر إلى نهاياته البعيدة، دونما إهتمام إلا بالمتعة اللحظية، لكن ردود فعلها هى محل شكها، أياً كان هو بالنسبة لها فى الماضى لكنه مازال قادراً على إثارة غضبها، ولو سمحت له ستكون هى الخاسرة الوحيدة.

وصلت يوكى عندما عادوا إلى المنزل بعد الظهر، رحبت بهم فى الصالة، كانت تلف جسدها النحيل برداء الكيمونو

المزخرف بالورود الزاهية، كان شعرها مشرعاً أعلى رأسها وتزينه حلية.

قالت: «فى البيت أنا فتاة يابانية تقليدية، هذا نوع من الإسترخاء لىّ» ونظرت إلى جريج «لقد وجدت ما كنت تبحث عنه؟».

«بعضه».

«يجب أن تواصل البحث، أظنك مغرم برؤية المصارعة اليابانية الليلة؟».

وافقها «فكرة جيدة، ختام لطيف لليوم» وواصل حركته وهو يتحدث دون أن ينظر ناحية أليكس «سأغتسل».

تابعته يوكى وهو ينصرف، ورأت عيونه تقطر حزناً «هو شخص تعيس، كنت أود أن أراه غير ذلك».

قالت أليكس لنفسها: ليس وحده الحزين، اليوم كان يوماً عصيباً، وما زال أمامها تسعة أيام وهى لم تعد واثقة من نفسها.

بسبب حرارة الصيف حتى فى المساء، عقدت حلبة المصارعة فى فضاء مكشوف، ورغم أنها مباراة غير هامة إلا أن المصارعة اليابانية إجتذبت [illegible]ثات، وحجزت يوكى المقاعد الثلاثة فى الصف الأول، بالقرب من الحلبة، «من هنا يمكننا المشاهدة أفضل» وإستحسنت أليكس ذلك بينما تشاهد المصارعين الثمانية ضخام الجثة يستعدون، ربما يزن كل واحد منهم مالا يقل عن ثلاثة مئات رطل، أحدهم ساقيه مثل جذع الشجرة، كان الجمهور يشجعه، كان يبدو أنه شاب صغير السن، وقالت يوكى أنه لو استمر بهذا المستوى سيصبح من أفضل المصارعين اليابانيين.

بالنسبة لأليكس، كانت المصارعة غير مثيرة، فلقد إستغرقوا

وقتاً طويلاً فى المناورة قبل الإلتحام الحقيقى، لكن يوكى وجريج كانا مستغرقان فى حماس الجماهير، وأثناء الإستراحة بين الجولات قالت ليوكى: «لا أدرى سبب هذا الحماس الشديد» بينما ذهب جريج لإحضار المشروبات «ربما الجودو يتطلب مهارة أكثر».

أجابتها يوكى: «لقد بدأت المصارعة اليابانية منذ ألفى عام، وكانت تمارس بعد موسم حصاد الأرز، نحن نشاهد أعرق تقاليد اليابان هنا أنا آسفة لعدم إستمتاعك بها، ماذا ستقولى لقرائك عنها يا أليكس؟».

لم ترتح أليكس لإفتقارها للفضول فى تقييمها، «سأقول ما أخبرتنى به، يمكننى فهم التراث حتى لو لم أتذوقه».

ضحكت يوكى «إستطاع جريج أن يعلمك قدراً كبيراً من الدبلوماسية!».

توقفت أليكس للحظة ثم سألتها «منذ متى تعرفتم ببعض؟».

«منذ كنا أطفال، لقد كانت أسرتنا وثيقة الصلة بعائلته، ووالد جريج هو الذى حث أبى على إكمال تعليمى للحصول على درجة جامعية، وجريج هو الذى علمنى الإنجليزية، وأنا علمته اليابانية، لقد قضينا أوقاتاً سعيدة معاً».

عاد جريج، حاملاً ثلاثة أكواب بلاستيكية على صينية ورقية، تناولت كوبها دون النظر إليه.

فى طريق العودة إلى المنزل، قال جريج: «ربما تهب عاصفة صيف، يجب أن يكون لدينا خطة بديلة للغد، لو أمطرت، شيشندو مكان طقسه مريح، ماذا عنه يا يوكى؟ أظن السياح عادة يذهبون إليها».

ضحكت يوكى «سأرتدى قبعة تفكيرى، لكن يجب أن تعذرنى لعدم قدرتى على مصاحبتكم، لدى مشاغل يجب أن أنجزها».

«لكن مفهوم أنك تجيئين المنزل نادراً، هل ستقضى كل حياتك فى طوكيو؟».

«عملى هناك، ويجب أن أكون هناك».

«العمل ليس كل شىء».

«بالنسبة لىّ هو كل شىء، يملأ كل فراغى».

عندما وصلوا المنزل، بدأت أليكس تعيد ترتيب أوراقها فى تصميم على إنجاز ما تبقى وكتابة كل خواطرها ومشاهداتها، وبينما هى واقفة عند مدخل الغرفة سمعتهم يتحدثان باليابانية، وبدأت تفكر لماذا لم تتزوج يوكى رغم كبر سنها، فى بلد تعتبر الحياة العائلية أهم شىء، لكن يبدو أن عملها له الأولوية، وعادت إلى غرفتها لتكمل كتابة الموضوع وهى تقول لنفسها: لن يكتب نفسه!!

بعد ساعة سمعته يتحرك أمام الباب، كانت قد قرأت كل ما سبق أن كتبته، وبدأت تستعيد ثقتها بنفسها، كان الموضوع ممتازاً، وأغلقت ذهنها عن كل المؤثرات الخارجية، لكن هذا أرهقها جداً.

عم الصمت المكان مرة أخرى، حاولت إغراء نفسها بالنوم، لكن جافى النوم عيونها، وأبت جفونها أن تنسدل، وتراقصت أمامها خيالات العالم كصور متحركة، عندما شعرت بهزة فى البداية ظنت أنه رعد لكن للحظة طالت وكأنها الدهر كله تساقط عليها تراب السقف وعرفت أنه زلزال، سمعت حركة خلف الستارة، وجاء جريج يربت على ظهرها «هل

أنت بخير؟».

«أظن ذلك» وإعتدلت فى جلستها بينما التراب يغطى كل شىء «هذا مرعب!».

«لا تخافى من شىء، زلزال بسيط».

«هل سيتكرر؟».

«ربما، الزلازل تحدث عادة فى الجو الحار، ليست زلازل بل هزات، ويجب أن تزيحى التراب عن وسادتك.

سالته «كيف يواجهون الهزات، وهم لا يعرفون توقيت حدوثها!».

«بالإيمان بالقدر، وهم ولدوا معها، تذكرى ذلك.

«جريج..» نطقت باسمه بدون وعى «لا تذهب لا تتركنى وحدى».

ساد الصمت لحظة، ثم إستدار إليها ببطء وهو ينظر إليها، عيناه غائمتان «إن كنت تريدين راحة أفلاطونية أشك فى قدرتى عليها».

«آه، توقف عن ذلك، ما حدث منذ عامين ألم يحن الوقت للإطاحة به خلف ظهورنا؟».

«بداية جديدة، تقصدين؟».

«لا، ليس هذا ما أعنيه، وليس بالمعنى نفسه، على الأقل يمكنك إعتبارها مجرد هدنة، هذا كل ما فى الأمر».

«ليس من طبعى التسامح، وأظنك أدركت ذلك لو بقيت معك فلسبب واحد فقط، أسميه التعويض هل أنت مستعدة لذلك».

«لا، لست مستعدة!» لقد تلاشت لحظة الضعف وتركتها تشتعل غضباً ورغبة فى الإنتقام «لماذا لا تذهب عنى وتطلب

التنفيس الذى تبحث عنه من يوكى إن كنت تريد راحة غرائزك المنحطة ؟ ربما ترحب بإرضاء صديق قديم ! » .

« قلت لك لا تقحمى اسم يوكى فى موضوعنا ! ليس بينى وبينها أى شىء من ذلك النوع ولا يمكن أن يوجد حتى عندما تختار رفيقها سيكون واحد من شباب بلادها ، وهى لا تريد غير ذلك » .

إستوعبت كلامه ، وهى واثقة من صدق إحساسها الداخلى ، بأن يوكى بالنسبة له أكثر من صديقة لذا تقبل هذه المهمة ، ليرى حبيبته الأولى ، وتساءلت منذ متى ؟ هل أحبها بعد فراقهما ، أم منذ البداية ؟ ولن يكون أول رجل يبحث عن السلوى والنسيان فى أحضان امرأة أخرى ، وماذا عن يوكى ذاتها ؟ هل مهمومة به ؟ قالت عنه أنه تعيس .

قالت له : « أنا آسفة ، لم أدرك هذه الأمور » .

ما زلت لا تدركين ، ولا تستطعين فهم امرأة مثل يوكى ! » .

« لا ، لم أفترض أننى أعرف ، هل هى تعرف ؟ » .

« طبعاً تعرف ، دعيها لحالها ، أيمكنك ؟ أما زلت تريدننى أن أبقى معك ؟ » .

هزت رأسها نفياً ، ولم تستطع الإفصاح بالإجابة ، لأنها تفهم أنها طيلة علاقتها به كانت مجرد سلوى له وتعجبت من الرجل الذى يرتبط بامرأة بينما قلبه مشغول بأخرى ، أى نوع من الرجال كهذا ؟ .

على أية حال ، قالت لنفسها : الرجال دائماً قادرون على الفصل بين الجسد والروح ، الرغبة والعاطفة !!

عندما ذهبوا خارج المدينة حيث أحراش الجبال ، والمعابد المختفية ، والمشاهد الخلابة ، حيث نشأ جريج فى طفولته هنا ،

كانت المنطقة ريفية قال لها : أنه كان يشاهد الفئران تمرح فى حقول الأرز التى أصبحت أرض للبناء ، وقالت يوكى : « الناس كان لابد أن تبنى منازلها لتعيش ، فكل يوم يولد أطفال جدد ، بينما لا يموت أحد ، وأصبح لدينا مشكلة زيادة سكان » .

قالت لها أليكس : « يجب أن تنظموا النسل » .

فعلنا ذلك ، لكن ما الفائدة ، أصبحنا كمن أغلق باب الحظيرة بعد إنطلاق الحصان !! » .

غيرت ميساكو الموضوع « لقد حصلت أخيراً على تصريح لكما بزيارة منزل الجيشا ، ستكون الزيارة صباحاً » .

أحنى جريج رأسه « هذا عظيم ، يا ميساكو ! هل غداً ملائم ؟ سنرحل إلى شيكوكو صباح الإثنين » .

« أنا واثقة غداً ملائم ، سأحزن لرحيلك » وهى تنظر إلى أليكس « وأنت أيضاً ، ربما تعودين لليابان يوماً ما عندما يحين الوقت ؟ » .

« أشك أن تتاح لى الفرصة ، إنه لكرم منك إستضافتك لنا فى منزلك الجميل » .

« جريج وثيق الصلة بنا جميعاً ، كل ما يطلبه مجاب » .

وبدأت تتعمق داخلها فكرة أنها كانت بديلاً للفتاة اليابانية ، لو كان بمقدورها أن تكرهها لإرتاحت قليلاً ، حتى كراهية جريج ليست حلاً .

بدأت تستجمع شتات نفسها وتقرر أن تكون مثل يوكى ، تهب نفسها لمهنة الصحافة ، والبداية من هذه المهمة التى ستضعها فى المقدمة .

كان منزل فتيات الجيشا محاط بأسوار حديدية وبوابة

حديدية عند الساحل الخلفى للمدينة، بدأت الزيارة قبل بدء الفصول الدراسية للفتيات، ولكونه الرجل الوحيد إجتذب إهتمام الفتيات، كان السماح بالتصوير فى إطار بعض القيود، تركته اليكس لمهمته بينما صاحبت فتاة أكبر فى جولة، شاهدت التدريب الذى يتضمن غناء، رقص، عزف مثل البانجو الغربى، وتدريب فتاة الجيشا ليس معقداً، بالإضافة لقدرتها على إمتاع وتسلية الزبائن، قابلت فتاة إسمها توموكو تعرف بعض الكلمات الإنجليزية، إقترحت عليها أن يقمن بتزينها على طريقتهم، بعد ثلث ساعة لم تستطع اليكس التعرف على صورتها فى المرآة، كان مكياجها رائعاً شعرها مصففاً بطريقتهم، ومزيناً بحلية جميلة، الكيمونو الذى إرتدته كان جميلاً بألوانه الجذابة، والحزام الذى يطوق خصرها كان حريراً ناعماً، تجمعت الفتيات حولها وهن يتضاحكن، وإلتقط جريج صورة جماعية وهى تتوسط الفتيات، وتمنت أن ينشرها رئيس التحرير مع الموضوع.

طلب منها مغادرة المدرسة الساعة العاشرة والنصف بسبب الإعداد لحفلة ستقام ظهراً، لمجموعة من رجال الأعمال.

وقالت أليكس لنفسها: من الذى يريد إزعاج نفسه بمقاطعة صحفيين من أى جنسية؟ وذهبت لتغير ملابسها وإزالة المكياج الذى وضعته فتيات الجيشا لها.

وفى طريقها للسيارة قال لها: «حصلت على ما تريدين؟».

«بل وأكثر مما توقعت، ماذا عنك؟».

«صباح هادىء جميل» وتوقف لإلتقاط صورة سريعة لإمرأة عجوز تتهادى فوق الرصيف. وسألها «كانت فكرة من

ما حدث مع فتيات الجيشا؟».

«توموكو، هل تعرفت على سريعاً؟».

لا، بعد دقائق بدأت أتعرف عليك، وجدتها فرصة طيبة كدعاية لا بد من تسجيلها بالكاميرا، كنت يابانية تماماً».

«فقط على السطح، لا يمكننى مناقشة اليابانية الحقيقية».

«حقاً، إنها حضارة مختلفة، من الصعب حتى فهم بعض أجزائها».

«بينما أنت لديك معرفة شاملة على ما أظن».

«لا، أقل من المتاح، لو أمضيت عمرى كله هنا، سأظل أجنبى عنهم، ليس هناك شىء مثل تآلف هذا البلد، سنرحل عن كيوتو بعد إفطار الغد، ونركب القطار إلى إيواكونى لنعبر إلى شيكوكو، وتقضى أربعة أيام مليئة بالعمل قبل العودة إلى طوكيو صباح السبت».

«لماذا السبت؟ رحلتنا يوم الإثنين».

«لأن هناك كثير لم تشاهديه بعد».

تذكرت أن يوكى ستكون هناك إذن، وتمنت أن تنتهى المهمة سريعاً، لتعود إلى وسطها المألوف وتبتعد عنه، ستقضى وقتاً فى إستعادة الأرض التى فقدتها هذه الأيام.

الفصل الخامس

الدوامة

وصلت حرارة أغسطس ورطوبته لأقصى معدلاتها، حتى قبل أن تتوسط الشمس كبد السماء، بمجرد أن أدار جريج مفتاح تكييف السيارة سرت نسمة رطبت الجو وأشاعت الراحة، ثم أغلقه مرة أخرى «الجو حار جداً ولن يعمل، نحن بحاجة إلى بيرة مثلجة، ألديك إعتراض؟».

هزت رأسها «لدى الكثير الذى أعمله، ماذا عن يوكى؟».

«ماذا عنها؟».

«أظنها قد ترتب شيئاً آخر لما بعد الظهر».

«إنها أجازتها وهى بحاجة للراحة على أى حال.. لنذهب خارج المدينة».

إستنتجت أنه آسف على حرمانه من السعادة بمصاحبة يوكى؛ ربما وجد أن حضورها يثير غيرة نصفه الآخر، الحب دائماً عذاب، كما تعرف هى.

ذهبوا إلى كاميوكا، وتوقفوا فى الطريق لتناول مشروب، وإستأجر هو رجلاً ليعيد السيارة بينما ركبوا العبارة فى نهر هوزو

فى رحلة إستغرقت ساعتين، بعدما وجدت إليكس ملابسها قد تلوثت، وأعصابها أجهدت «أتمنى من الله ألا يقرر رئيس التحرير إرسالى فى مهمة مثل هذه ثانية!».

«أظنه قام بمثلها منذ أعوام، ويجب أن تكونى مستعدة للذهاب لأى مكان يريده؟».

«أظن ذلك، هذا جزء من مهنة الصحافة».

«مختلف كثيراً عن عالم الموضة التى تغير مظهرك الخارجى».

«لا تعجبنى».

«أنت تعملين مع مجلة العالم منذ ستة أشهر فقط أظنك كنت تعملين فى مكان آخر قبلها؟».

«حاولت العمل كصحفية حرة، كانت ممتعة، لكن الدخل لم يكن منتظماً وليس كافياً».

«والشخص الذى سترتبطين به، ما عمله؟».

«يهتم بأعماله، وأنا هنا للإهتمام بعملى، جريج لاتسمح لنفسك بالتدخل فى حياتى الخاصة!».

هز كتفيه «مجرد حديث، إن لم يعجبك، فهل لديك وسيلة أفضل للتواصل؟».

تجاهلت غمزته، وإنصرفت لعملها، وقضت حوالى ساعة فى فحص مذكراتها الصحفية قبل العشاء، فى الغد وفى نفس التوقيت سيكونون على بعد مئات الأميال، فحصت خريطة هونشو للتعرف على المنطقة التى سيزورونها، فهى تريد أيضاً الذهاب إلى هوكايدو، لكن قد لايسعفها الوقت، وعلى أية حال هناك حدود للمادة الصحفية التى ستستخلصها فى موضوعها فعلاً، حسب تقدير رئيس التحرير، وكل ماتتمناه ألا

يختصر ما تعتبره أفضل فقرات موضوعها .

كان غريباً عندما عادت لتستلقى فى سريرها ، وتذكرت أنها أصبحت تجيد إستخدام العيدان الخشبية التى تستخدم فى اليابان بديلاً للملاعق ، وأنها بفضل هذه المهمة الصحفية سترى جريج ثانية فى الأسابيع المقبلة ، لكن فى المكتب فقط بعيداً عن الحياة الإجتماعية ، فلم يعد بينهما سوى العداء ، وإرتجفت من تلك الفكرة .

رتبت يوكى للذهاب معهم لمشاهدة مسرح بونراكو فى المساء ، وهو مسرح عرائس فى ثلثى حجم الإنسان الطبيعى وملامحها حية ومميزة ، وكل عروس يحركها ثلاثة رجال يلبسون الأسود من قمة الرأس إلى إخمص القدم ، الأول مسئول عن جسم العروس الرأس واليد اليمنى ، والآخر يحرك اليد اليسرى والأخير الساقين .

فى البداية إعتبرته أليكس مسرحاً ساذجاً ، لكن بمجرد بدء المسرحية تناسب العمال الذين يحركون العرائس وإستغرقتها القصة والعرائس المتحركة ، وبنهاية العرض المسرحى بإنتحار العاشقين الشابين ، كانت على وشك أن تقهرها دموعها ، بينما المحيطون بها كانوا يبكون ، وإستنتجت أن العبارة التى لا تذكر قائلها « غموض وسحر الشرق » لا مكان لها فى عرض العرائس المتحركة فى مسرح بونراكو « فهو مدهش ورائع وإستمتعت به قليلاً » .

ردت يوكى : « أفضل من المصارعة اليابانية » .

وأضاف جريج « لأقصى حد ! » وذهب لإحضار السيارة وحدقت أليكس فى يوكى وتساءلت هل تعرف ما بيننا تحديداً ، وقالت أليكس لها : « آسفة إن كنت غير لطيفة تلك الليلة

شعرت بالملل والسأم من كل العالم ! » .

« أعرف هذا الشعور ، تمر بى أوقات تصبح حياتى كلها مجرد فراغ » .

وتأملت أليكس الحزن الكامن فى تلك العبارة وسألتها « ذلك الرجل ، شيجى الذى رأيته فى شقة طوكيو هل هو.... صديقك الحميم ؟ » .

« مجرد صديقى فى الجامعة ، الشخص الذى أحبه محرم على ومحرومة منه » .

« جاءت السيارة وفتح جريج الباب ، « ليس هناك وقت للنميمة عنى ، أيجب أن تنصرفوا كإناث الليلة » .

إبتسمت يوكى « سنساعك ، لكن هذه المرة فقط » .

إنسلت إليكس لتجلس فى المقعد الخلفى ولم تشارك فى حديثهما وإنسحبت لتأملاتها الداخلية ، حتى عادوا إلى منزل نجاسوا ، ولقد لاحظته مرتين يسرق نظراته لها من مرآة السيارة ، لكن لم ينطق بكلمة لها ؛ عند المنزل وجدوا هاروا فى مزاج مستعد للحوار مع جريج ، وشعرت أليكس أنها فرصة للإختلاء بيوكى وميساكو ، وفى الساعات المبكرة كانت تكتب ملاحظاتها الصحفية ، عندما رفع جريج الستارة التى تفصل بينهما ، ولم يتحرك « سمعتك تضيئين النور ، ستكونى متعبة فى الصباح » .

« لم أستطع أن أنام عموماً ، الجو حار جداً ، ألا تظن أننا سنتعرض لهزة أرضية أخرى ؟ » .

« من يدرى ؟ لو كان ذلك سيحدث كانت الأجهزة حذرتنا ، ماذا حدث بينكما أنت ويوكى عندما كنت أحضر السيارة ؟ » .

« حدث ؟ » .

« كان واضحاً أن شيئاً حدث » .

« إذن لماذا لا تسألها ؟ » .

« أنا أسالك ، يوكى سيجىء دورها » .

« حيلة ماهرة ، قد أجربها ، كنا نتحدث عن مسرح بونراكو ، هذا كل مافى الأمر » .

كانت إبتسامته ساخرة « ليس مقنعاً جداً ، لقد شاهدتك فى السيارة ، بونراكو ، كان آخر شىء يرد على ذهنك » .

« كان يجب أن تركز نظراتك على الطريق ، والآن ، إن لم يضايقك ، يجب أن أعمل » .

« كل شىء قابل للإنتظار » .

« رئيس تحريرى لن يوافقك ، أبداً ، ولا أنا ، مهنتى مهمة لىّ » .

تحرك بسرعة خاطفة قبل أن يلامس سن قلمها سطح الورقة ، وتناوله من يدها ، وأمسك بيديها .

« سألتك سؤالاً ! » .

إشتعلت بالغضب ، المكبوت طيلة عامين ، وقفت لتواجهه ، عيونها تقطر إحتقاراً له « خائف من إبلاغى لها أى نوع من الرجال أنت ؟ أليس هذا السبب ؟ لن أكشف لها تلك الحقيقة بعد ! » .

« وأى نوع من الرجال أنا ؟ » .

« غشاش وكذاب ، سميتانا لم تكن الأولى وليست الأخيرة يا جريج » .

كان ينظر إليها وكأنه لم يراها من قبل .

« عما تتحدثين ؟ لم يكن بيننا أى شىء أبداً » .

كان صوته مقنعاً ، أدركت هذا بمرارة ، لكن مهما كان إنكاره فهذا لاينفى الحقيقة ، وقالت له : « لم أتوقع منك الإعتراف بتلك العلاقة ، لن تكون نزيهاً معى ، ولم تكن من قبل ، لقد تشكلت قبل سفرى لباريس وقتها ، طبعاً ، كان ينقصنى الدليل » .

« أظنك وجدت الدليل ؟ » .

« وجدته أمام عينى ! ليلة تحدثت معك تليفونياً لم تكن أول مرة أتصل بك ، قبلها إتصلت وردت سميتانا » .

« ثم ؟ » .

« كنتما معاً ، أنت أخبرتنى ، ومستهتراً جعلتها ترد علىّ » .

« ربما ، لو كنت موجود وقتها » .

ضحكت ضحكة مريرة « أتحاول أن تقول لىّ أنها كانت وحدها فى الشقة ؟ إذن كان لديها مفتاح » .

« قلت لك ، أننى لم أكن قريباً من التليفون ، ما أذكره ، أننى إستضفت سميتانا والربل الذى تزوجته ، لتناول مشروب بينما أغير ملابسى قبل الذهاب لتناول العشاء ، وهذه عادتى ، كما تعرفين ، وإن كانت تحدثت معك تلك الليلة ربما أثناء وجودى فى الحمام » .

« وأظنك ستقول أنها لم تخبرك بتلك المكالمة ؟ » .

« لا ، لم تخبرنى حسبما أتذكر » توقف لحظة « ماذا قلت لها تحديداً ؟ » .

شعرت وكأن الأرض تميد تحت قدميها « أنا ... حسناً ... لا شىء ، ماذا قلت لها ؟ » .

« شيئاً مثل « ماذا تفعلين هناك ؟ » ربما ذلك ، وظنت هى أن الرقم خطأ ، لذا لم تخبرنى ، هل هذا هو كل أساس دليلك

المزعوم ؟ » .

« لا ، ليس هو! لقد وجدت حزام حقيبتها وعليه حرف « و » داخل درج التسريحة ، ولا أظنه دخل الدرج من تلقاء نفسه ! » .

« لا أظن ، ولا أذكر كل تفاصيل تلك الليلة ، لكن سمحت لها باستخدام التسريحة لتسوية هندامها فهى تحب أن تكون بكامل أناقتها وهذا جزء من عملها كعارضة أزياء ، وإن كان هناك شيء خلاف ذلك فهو خيال مريض ! » .

لقد أقنعها فى النهاية « حسناً ، لكن ليس كافياً لست مغفلة يا جريج ، لقد قابلتها مراراً ولأسابيع قبل ذلك ! وتغير إهتمامك بى وتلاشى وقتها » .

« ربما تكونين محقة فى هذا ، بدأت وقتها أفقد الأمل بأنك ستظهرين مشاعر أكثر عمقاً ، لكن كما بدا وقتها أنك تفضلين العلاقة العابرة دون إلتزام » .

توقفت أنفاسها وجد حلقها فجأة وقالت بصعوبة : « أنا .. ظننت أن هذا ما تريده » .

« إذن كنت مخطئة ، لقد طلبت منك الإنتقال لتعيشى معى ، وهذا ما يسمونه وضع العربة أمام الحصان ، كنت أريدك معى ، لكننى أعتقد برغبتك فى قيام علاقة دائمة ، كنت تعشقين فكرة حياة الحب والغرام ، لكن الزواج أكثر من ذلك إن كان سيكتب له الدوام ، وكنت أخطط لذلك ؟ » .

بدأ عقلها وكأنه سينفجر ، وبصعوبة وكأنها تنتزع الكلمات من بئر سحيق « ماذا عن يوكى ؟ أليست هى حبيبة القلب ؟ » .

« وما زالت ، المرء لا يقلع عن حب شخص لمجرد أنه ليس

فى متناول اليد ، ولن أقضى بقية حياتى وحيداً أعزباً ، لكن شعورى ناحيته من نوع آخر لكنه طيب » .

« لا أصدقك ، مجرد كلام ! » .

« لماذا أكذب عليك ، لن يفيدنى شيئاً ، لقد عشقت صورة خيالية ومثال للفتاة التى سأرتبط بها ولا أظن أننى وحدى الذى فعل ذلك ، وكل هذا مجرد ماضى وذكرى ، وأياً كان شعورى ناحيتك ، لقد إغتلت هذا الحب يوم كتبت لى رسالتك ، قليل من الرجال يعتبرونها طعنة لكرامتهم ، لكننى شاكر لك لمعرفة الحقيقة فى النهاية ، وهذا يريح ذاتيتى وغرورى ، إن لم يكن هناك شيء آخر » .

قالت متألمة : « لو كان هذا حقيقياً ، لماذا أتعبت نفسك بالمجيء فى هذه الرحلة عندما عرفت من ستكون معك ؟ طبعاً ليس السبب النقود » .

« أحببت المهمة ذاتها ، لم أرد التراجع بسببك » .

« جريج ... أنا آسفة » كان صوتها واهياً ، وبصعوبة نظرت إليه « ماذا يمكننى أن أقول ؟ » .

« لا شيء أبداً ، أنت إعتذرت فعلاً ، لقد دمرت كل شيء كنا حققناه لأنك تفتقرين لشجاعة مواجهتى بشكوكك !! هل تعرفين كل ما سببتيه لى خلال عامين ؟ » .

« ليس أكثر مما تعذبت أنا » .

« أشك فى ذلك » .

« أنا أحبك ، وأنت جرحت كبريائى ، وأردت الإنتقام » .

« تقصدين أن كرامتك وغرورك خدش ، إذن لا تعرفين الحب إن لم يصفعك على وجهك ! » .

« آه ، طبعاً وأنت خبير! بالحب القديم والجديد! وهو

كذلك، ربما، كنت مخطئة بشأن سميتانا، لكننى أقسم أن هناك غيرها كثيرات أنت دائماً مغرم بشيء واحد!».

«أهذا حقيقى؟ على أية حال أنا أعيش على التوقعات».

كان يتحرك وهو يتحدث، وعندما إصطدمت قدمه فجأة بها سقطت على الوسادة وإستندت بيديها، حتى لا تصطدم بالأرض.

إستيقظت على خيوط ضوء النهار، ظلت مستلقية للحظة تحدق فى السقف بينما يحاول ذهنها إسترجاع ما حدث ليلة أمس، كان جسدها متفتحاً منتعشاً مسترخياً وقبل أن تقف متأهبة للذهاب للحمام، وجدته يزيح الستارة وهو بكامل ملابسه «سنذهب فوراً إن لم تستعدى سيفوتنا القطار، وأنا لا أحب الجرى للحاق به..».

«أنا سأكون جاهزة حالاً» بعد لحظة نادته «جريج...».

إلتفت إليها «ماذا؟».

«أظن واضحاً أننا لم نستطيع تجاهل ما حدث».

«على العكس، لقد إستمتعت بما حدث، وأظنك أيضاً».

قالت ببطء: «المسألة أكبر من ذلك».

«لماذا؟ أكنت تحسبين أن المسألة كلها ستنتهى؟».

عانت فى إختيار كلماتها «ليس هذا ما أقصده وأنت تعرف ذلك».

«أعرفه، كل ما أعرفه، أنك لم تفقدين موهبتك الإنثوية، فى الواقع، ربما أرى أنك تعلمت المزيد».

«ليس حقيقى! لم يكن فى حياتى أحد بعدك!».

«سأصدقك، المهم لا تضيعى الوقت فى الحمام».

بعد ذهابه، تساءلت هل يريد تكرار نفس اللعبة معى؟.

كان عبور اللسان البحرى تجربة ممتعة لها، حيث شاهدت مجموعات الصيادين الذين لم تصلهم الحضارة الصناعية، قال لها: «جزء من جزيرة شيكوكو أعيد بناءه لكن نحن ذاهبون إلى مكان لم يتغير منذ مئات السنين هل تعرفين السباحة؟».

«بشكل جيد».

«أيمكنك الغوص دون معدات؟».

«قليلاً، هل سنغوص؟».

«إن كنت تريدين مشاهدة صيد اللؤلؤ الحقيقى هناك قرية على الساحل الغربى حيث ما زالوا يجمعون اللؤلؤ من محاراته الطبيعية، غصت معهم العام الماضى».

«كان معك كاميرا للتصوير تحت الماء؟».

«نعم، يمكننى تحميض الأفلام لو أراد رئيس التحرير مشاهدتها، وأظن بإمكانك إستخدامها لو أعجبتك الفكرة».

«لن أكتب إلا عما أراه وأجربه بنفسى، هل سنقيم فى القرية ذاتها؟».

«طبعاً، سأشرب بيرة مثلجة، أتريدين؟».

هزت رأسها «سأبقى هنا، المنظر هنا جميل».

تابعته وهو يمشى مرتدياً البنطلون الأبيض والقميص الأسود، وكأنه شخص عابر، وكأن شيئاً لم يحدث بينهما، ومهما كانت طبيعة ما قاله ليوكى عند وداعها صباحاً، فهى لم تعرفه، ولم يبد أحد منهما أى عاطفة أثناء الوداع، ولم تستطع فهم يوكى، إن كان حبها له عظيماً كما تخيلت هى إذن، مؤكد، ستضحى، وهذا ثمن بسيط يجب أن تدفعه؟ لكنها ليست يابانية، فكيف تستطيع معرفة تفكير هؤلاء الناس؟.

ما زالت عواطفها هى فى دوامة، إن كان جريج قد أخبرها

بالحقيقة، فيما يتعلق بسميتانا، إذن فهى مخطئة بتركها ما يسمى بغيرة وشك النساء يدمر علاقة تعنى لها كثيراً، أهم من أى شىء فى العالم، تراجعت وقالت الكرامة أهم شىء، بمجرد عودتهم إلى إنجلترا سيمضى كل فى طريقه دون صدمة عاطفية.

كذب، قالت لنفسها، الصدمة ستعشش داخلها طويلاً.

قالت لنفسها: سنقضى أربعة أيام فى قرية بدائية بدون أجهزة تكييف، وهو معتاد على هؤلاء الناس، وعندما فتحت عينيها، إنبهرت بمنظر الطبيعة الخلاب، وقال جريج الجالس بجوارها: «جزيرة سداميساكى».

كان شمس الغروب تتلاقى وعيونهم مباشرة إرتدى نظارته، وكذلك هى، وسألته: «هل نمت طويلاً؟ أظننى لم أفتح عينى إلا الآن».

«ساعتين، ليس عجيباً، كان يوماً مزدحماً».

وفكرت وهى تسخر من نفسها وحتى الليلة كانت شاقة مزدحمة، أما الليلة ستنام جيداً.

الفصل السادس

صياد اللؤلؤ!!

يقع تجمع يوسوكيميا داخل خليج صغير، ومبانيها التقليدية مبنية بالأخشاب والأعشاب الجافة، كان يوم عملهم قد إنتهى عند وصول جريج وأليكس، كان الرجال والنساء يقمن بجذب القوارب ناحية الشاطىء الجميل الأبيض، رحبوا به كأنه صديق قديم، كانت إبتساماتهم وصيحاتهم تتخلل حديثهم وتتجاوز حاجز اللغة، ورحبوا بها أيضاً.

كان المنزل الذى إستضيفوا به أكبر قليلاً من جيرانه، وبه غرفتان بالإضافة إلى مطبخ صغير وشرفة مغطاة، كان المنزل خاص برجل عجوز خاطبه جريج بـ تسوجى وهو الذى أشار مزهوا بتخصيص غرفة بأكملها لهما.

أمسكت لسانها عن الكلام حتى أصبحا وحدهما فى مكان منعزل، وواجهته بتصميم فى نظراتها وصوتها «الأفضل أن تجد مخرجاً من هذه الورطة، لن أشاركك الغرفة، ولن أشاركك حظيرة الخنازير!!».

«هم لا يملكون خنازير هنا» وتراجع «عندهم قليل من الأبقار ربما، ومعظم طعامهم مكون من السمك والدجاج، والبروتين يحافظ على صحتهم».

صرخت فيه «لم أسألك عن أحوالهم، فقط إفعل شيئاً للخروج من تلك المشكلة!».

بسط كفيه «لا أستطيع عمل أى شيء فهذه هى الغرفة الوحيدة المتاحة، ما المشكلة؟ ماذا تغير؟ لقد عشنا معاً فى غرفة واحدة منذ وصولنا».

«ليس مثل هذه!».

قال بجفاء: «هذه هى طريقة حياة الجانب الآخر من اليابان أليس هذا ما تريدين معرفته، تلك المتناقضات؟».

زمت شفتيها غضباً، كان يجب ألا يضايقها أين أو كيف تقيم هنا، لكن هناك شيئاً آخر، الغرفة صغيرة حتى الجدران نفسها ضيقة، والوسادتين تملأن كل أرضية الغرفة، قالت: «سأنام فى الخارج لو تطلب الأمر ذلك، فالجو حار أصلاً».

هز رأسه «لا، لن تفعلى، ستعتبر علامة عدم رضا، اليابان ربما أكبر من يستهين بأنفسهم لكنهم لا يقبلوها من أجانب. سنحاول تسويتها بأنفسنا».

سألته بعنف «هل خططت لهذا؟ أهذه طريقتك للإنتقام من خطابى لك؟».

«لقد إنتقمت فعلاً منك» وأشعل الغضب بلهجته المستهترة الساخرة «وليس معنى هذا أننى سأعطيك ظهرى لو عرضت ذلك مرة أخرى».

«محـال!!».

«إذن سنعانى من ذلك».

لم تجبه، وهو لم يتوقع ردها، وإبتعد عنها وبدأ يفتح حقيبته، وتركها تجتر آلامها وذكرياتها.

لم يكن بالمنزل حمام، ليس سوى مياه البحر القريبة

فالسكان يستخدمون حمام واحد، وكانت إبنتا توسوجى يوفران لهم المياه الساخنة، وبعد أن ذهبت الفتاتين خلع جريج ملابسه الخارجية.

«يمكنك إغماض عيونك» كانت وقاحة منه، فهى لن تشعر بالخجل من شخص عاشرته، وأدار ظهره لها، وتنازعتها نفسها، وربما ستكون الأيام الأربعة القادمة أصعب ما فى هذه المهمة!!

سألته «هل سنبقى هنا حتى يوم الجمعة» وكانت تفك أزرار قميصها القطنى.

أجابها دون الإلتفات لها «فقط ليلتين، يوم الأربعاء سنذهب إلى يواجيما لنشاهد المزارع البحرية ومصارعة الثيران».

«أكره مصارعة الثيران!!».

«ليست مثل المصارعة الأسبانية، سوف تستمتعين بها».

ليس أمامها خيار آخر، هى بحاجة له، وهى تعرف ذلك، بجانب المهمة، فهى لا تريد أن تجد نفسها فى موقف تعجز عن فهم هذا البلد، تركها جريج وبعد أن إغتسلت وإرتدت اليوكاتا، ذهبت للإنضمام للعائلة فى الغرفة الأخرى، كانت واسعة، وبها المائدة الأرضية التقليدية، وكان الطعام سيقدم فوق الأعشاب الجافة والأعشاب البحرية، وزهرة لوتس وحيدة كرمز إحتفالى بهما، وأدركت أن الذوق الجمالى والفنى موجود فى هذا البلد حتى بين الطبقات الدنيا.

كان للأسرة إبن بالإضافة للفتاتين، وهكذا أصبحت الغرفة مزدحمة، كان الطعام الأساسى تنويعات من الأسماك، وجلست فوق وسادة تسمى زابتون وحاولت متابعة الحوار، لكن بفضل تفسير جريج لها، فهؤلاء الناس يبدأون عملهم مع الخيط الأول

لضوء النهار، والغواصون يذهبون لجمع اللؤلؤ من محاراته مبكراً.

عندما عادوا إلى غرفتهم قال لها: «سأذهب للهواء الطلق عند الشاطىء، هل تريدين الذهاب معى؟».

كانت الغرفة حارة جداً رغم فتح جميع الستائر ووافقت على دعوته، وقالت له وهما يتمشيان فوق الرمال الناعمة «سأشترى واحد من هذه الأحذية الخفيفة لأنها مريحة».

وهو يتطلع ناحية القرية المظلمة «هادئة أليست كذلك؟ غالباً ما كنت أجىء هنا عندما أسأم حياة المدينة الصاخبة».

«هل فكرت فى العودة لليابان للإقامة الدائمة؟».

«ذات مرة، منذ زمن».

«بسبب يوكى؟».

أظلم وجهه مرة ثانية «لا أريد التحدث عن يوكى».

«تقصد لا تريد التحدث معى بشأنها؟».

«إن كنت تحبين ذلك».

مضى فى طريقه والهواء يطوح شعره، وسارت خلفه، قلقة من تعكير صفو تلك اللحظات الهادئة، هذا ممل، يجب أن يجدا أساساً جديداً للتفاهم، وسألته:

«ألا يمكننا التفاهم على تجنب هذا لصالح هذه المهمة؟»

«أدرك مشاعرك، لكن...».

«أشك فى ذلك، حتى أنا لا أثق فى نفسى» والتفت ناظراً إليها عندما أصبحت فى محاذاته، لم يكن القمر ساطعاً فى السماء، كانت النجوم تتلألأ «لقد صدمتنى ليلة أمس، طيلة تلك الشهور لم أسأل نفسى أبداً عن دوافع فراقك لى؛ ولن أكرر لك إنكارى لوساوسك، كل ما أريد معرفته لماذا لم تواجهينى بشكوكك لحظتها؟».

شعرت بعضة مؤلمة فى حلقها «قلتها بنفسك، الكرامة، وأنا نادمة على تلك الرسالة أكثر مما ندمت على شىء فى حياتى — من قبل، أنه.... لم يكن ضرورياً».

كانت إبتسامته باهتة «هذه إحدى الوسائل لتسويتها، أنت تستخدمين الكلمات كأسلحة، يا أليكس. دائماً تفعلين هذا الشىء الوحيد الذى لا تتحمله ذاتية الرجل هو إحتقار إمرأة له، كان بإمكانى تمزيقك عندما قابلتك يومها فى المكتب».

كان صوتها أجشاً «لكنك تجاوزتها».

«نعم تجاوزتها» توقف وتغيرت لهجته وكأنه يندم على تلك الهفوة «المشكلة أننى وجدت من الصعب إطفاء جذوة النار التى إشعلتها ليلة أمس كنت أكثر من... متوافقة متآلفة».

«لم تتح لى أى فرصة خلاف ذلك!».

ضحك «ربما لم أتح لك فرصة الهرب، لكن الإستجابة التى شعرت بها فاقت توقعى!! لا تذهب، أليس هذا ما قلته ليلتها؟».

سألته «لن تهتز الأرض هذه الليلة».

«لا تركنى إلى ذلك؟».

تنهدت «جريج، هذه وقاحة! لماذا لا نتسامح وننسى؟ ليلة أمس كانت غلطة — لنا نحن الإثنين — لا تحاول تعقيدها».

«سأفكر فى ذلك، فقط هناك إلحاح لن تملى من ترديده».

«إذن إذهب وإقفز فى البحر!».

أمسك بها، وأدارها لتواجهه ونظر فى وجهها الغاضب «لا تهربى منى، قبل أن أتفاهم معك».

إرتعدت، وهو يقبلها قبلة محمومة، ويحتويها. ثم يطلقها

قائلاً : «يكفينى هذا» .

وقفت وهى تحدق فيه وشعرت برعشة جسدها «لماذا تفعل هذا ؟ أنت مغرم بثأرك منى ! » .

«صحيح ، وإستمتع به ، لقد تحملت عذابه عامين ، وأمامى إسبوع واحد للإنتقام ، ستتذكرين هذه الرحلة طويلاً يا أليكس ، أنا واثق من ذلك ! » .

إبتعدت عنه وبدأت تسير على الشاطىء ، وغير عابئة إن كان يسير خلفها أم لا ، ولم تنظر خلفها ، كان جسدها وعقلها فى نار موقدة !! لن يغفر لها أبداً ، ولو بعد ألف عام !! كانت حمقاء عندما ظنت غير ذلك .

عندما عادت بدت لها الغرفة أكثر ضيقاً وظلمة مما قبل ، تسللت عبر الستارة الخارجية بهدوء حتى لا توقظ الأسرة النائمة ، ستكون فى مأمن من إنتقامه على الأقل ؛ ما لم يغامر بتلويث سمعته مع مضيفيه ، بعد دقائق عاد ، وكانت مستلقية تحت غطائها ، رغم صعوبة تحمل حرارة الجو ، لم ينطق بكلمة ، وإستلقى على الفراش الآخر وهو عاقداً يديه خلف رأسه وعيونه لأعلى السقف ، وظل هكذا حتى غلبها النعاس .

كانت الشعاب المرجانية التى يصطاد منها القرويون تبعد ميلاً عن الساحل ، وكان كل قارب شراعى يقوده زوجان ــ رجل وإمرأة ، دائماً يتناوبون على الغطس ، ولأن تسوجى قد فاته عمر الصيد وأصبح شيخاً لا حيلة له أصر على إتاحة الفرصة لها لركوب قاربه ، والحياة هناك أقل تعقيداً من حياة المدن الصناعية ، ويسودها الضحك والمرح ، وبالنسبة لهم حياه صيد اللؤلؤ يكفل لهم حياتهم ومعاشهم ، صمم جريج على صيد نماذج من اللؤلؤ لنفسه ، إكتفت أليكس بالمشاهدة فقط ، منبهرة

بتعدد ألوان المحار ، ونباتات البحر ، الجمال المبهر لعالم ما تحت الماء ، وودت لو كتبت كل ما رأته عن القرية لكن لن يتاح لها سوى كتابة فقرة واحدة ، لذا تمنت لو كتبت يوماً كتاباً عن الرحلات .

كان الغذاء معظمه فاكهة ، بعد نصف ساعة راحة بدأ العمل ، نام توسوجى فى الركن ، وصوت شخيره المنغم ، مستلقياً فى قاع القارب ، ولم يبد جريج رغبة فى التحرك «حياة ليست سيئة ، ويمكنها أن تستمر» .

«سألته «هل هذا مؤكد ؟» .

هز كتفيه «أعترف توسوجى ليلة أمس أن معظم الشباب يتمنون العمل فى المدينة ، سيأتى الوقت الذى لن يتبقى رجال يعملون هنا» .

«ماذا سيحدث للقرية وقتها ؟» .

«سيبقى القادرون على العمل فى المزارع البحرية ، والباقون سيتحولون لصيد السمك لمجرد إيجاد الطعام . وإلتفت لينظر إليها ، ولمح نظرة إعجاب فى عينيها «لسنا وحدنا والمايوه البكينى يطلق لخيالى العنان ! » .

«ليس هذا قصدى ، لو كنت أعرف أننا سنغوص لكنت أحضرت بدلة غوص كاملة» .

«لقد أتعبت قلبك معك» .

فعلاً ، إعترفت لنفسها بأن قلبها هو المظلوم الوحيد بعنادها وإنحيازها ضد رغبته الدفينة ونبض جله ، وإنصياعها لصوت الغيرة والكرامة والعقل والشهرة الصحفية ، وهى واثقة أن أشد ما تتمناه الآن رؤيته مبتسماً دون سخرية منها ، فهل سترى ذلك ؟ لكنها تشك فى رؤيته مبتسماً دون سخرية منها ، فهل

سترى ذلك؟ لكنها تشك فى رؤيته كثيراً عندما يعودوا إلى لندن.

قال لها: «لا تتهربى منى، أنت معى فى أمان تام ويحميك هذا الجمال الناعس الذى ما كاد يفتح عينيه مع ضوء الصباح، والبحر الذى تضطرم أمواجه لتحكى شكواه وأنات قلبه التى حوت آلام كل العشاق عبر التاريخ».

«أرى أن خيالك الخصب متوهج اليوم!!».

تركت القارب وقفزت فى المياه، حتى أجهدت ساقيها، وتقطعت أنفاسها من المجهود الشاق الذى بذلته فى السباحة والغوص، ولم تشعر بنفسها إلا ويدان تمسكان بها وتجذبانها للسطح، وعندما تخلل الهواء المنعش أنفها وإستوطن رئتيها، شعرت بالدموع تجرى فوق خدودها وتختلط بالمياه المالحة، ظل جريج ممسكاً بها حتى وضعها فى القارب، وساعده توسوجى، وعندما بدأت تعود أنفاسها لإيقاعها الطبيعى قال لها: «أليكس لقد نسيت تمارين التنفس وملأ رئتيك بالهواء، بحق السماء، كنت تقومين بها كل صباح!».

ردت «لقد عضنى شىء ما!».

«أين؟».

كان مجرد تحركها مؤلماً، وسمعت كز أسنانه وهو يرى الدم الذى ينزف من فخذها «زهور بحرية، حذرتك ألا تقتربى منها».

«لم أظن ذلك، أظننى سأقع مريضة».

أمسك بها جريج وأسندها إلى صدره حتى عاد بهم القارب، وحملها إلى المنزل وأوسدها لتنام، وأحضروا الماء النظيف الدافىء وملابس جديدة وبعض المراهم، كانت

أليكس مستلقية على وجهها بينما جريج يطهر الجرح، وشعرت هى بالوهن الشديد، مؤكد أن أشواك الزهور البحرية سامة، قال جريج: «لم يستخرج أحد هذا العشب أبداً؛ لذا فليس له مضادات طبية، لن تشعرى بإنخفاض تأثيره إلا بعد أربع وعشرين ساعة» وكان يدهن موضع الجرح بالمرهم وهو يواصل حديثه «إخلعى هذه الملابس وارتدى يوكاتا»؛ شعرت بالعجز الشديد وهى تخلع المايوه، وقال لها وهو ينصرف «سأعود بعد ساعة حاولى أن تنامى، هذا أحسن علاج».

وهو يبتعد، سألت نفسها: علاج من ماذا؟ لكنها نامت فوراً، وعندما إستيقظت وجدت أن الألم قد خفت حدته، لكنها ما زالت تشعر بالضعف والوهن والغثيان، حتى رفع رأسها عن الوسادة كان يجهدها، كان من المقرر رحيلهم عن يواجيما غداً، ولم يتبقى على سفرهم سوى ثلاثة أيام على عودتهم إلى طوكيو، وخمسة أيام على عودتهم إلى لندن. وهى لا تريد أن ترحل من هنا، وهى نفسها عاجزة عن فهم ما حدث، جريج دائماً كان يحب يوكى، هذا واقع يجب أن تتقبله، وهى لم تكن سوى الحبيبة البديلة الثانية، ومع ذلك ما زالت تحبه وتعشقه، أكثر مما كانت تعشق أى شىء فى حياتها، وبطريقة ما يجب أن تصارحه بذلك.

كما لو كانت تشاهد الإجابة على أفكارها، وجدته يدخل غرفتها، ويركع على ركبتيه بجوارها ويضع يده على جبينها «بماذا تشعرين؟».

«تحسنت، يا له من إسبوع رهيب».

أومأ لها مؤكداً «ليس أكثر مما توقعت، فى نفس الموعد غداً ستكونى على ما يرام».

«لكن من المفروض أن نسافر إلى يواجيما، ما زال هناك الكثير الذى يجب تغطيته صحفياً!».

«ما لم نشاهده نتركه، لن نرحل من هنا إلا بعد شفائك وفى نفس الوقت، يجب ألا تجهدى نفسك بالحديث».

«أريد أن أتحدث، ربما هى آخر فرصة لى».

جلس على الأرض ونظراته تتحول بين وجهها «عن ماذا؟».

شعرت بجفاف حلقها «عنا، منذ مدة طويلة وإلى متى ينبغى أن أعاقب على خطأ إرتكبته يا جريج؟».

سادت لحظة صمت قبل نطق جوابه «إعتبرى أن المسألة تم تسويتها الآن».

«هل يعنى هذا أنك سامحتنى؟».

«وهل يعنى هذا أنك تصدقين قولى؟».

«نعم، نعم، أصدقك، فعلاً لقد أخطأت».

«عموماً هذا ماضى، ربما الأفضل نسيانه».

اجبرت نفسها على قول: «ماذا عن الحاضر؟».

«ماذا تريدينني أن أقول لك؟».

«بما تشعر به».

كانت إبتسامته بها طيف سخرية «أظننى أوضحت ذلك».

«لا أعنى الجانب الجسدى فى الحب، قلت ليلة أمس أن شعورك ناحيتى يمكن أن يكون نفس شعورك تجاه يوكى، هل هذا حقيقى؟».

بلا عاطفة «نعم، ربما كذلك، هناك أنواع عديدة من الحب ولو حاولت سؤالى هل يمكننى تكرار نفس تجربتى

ومشاعرى، فالإجابة، لا، هل أنت جائعة؟».

هزت رأسها، وهرب منها صوتها، لقد سألته وأجابها: لا عودة ولا تراجع، على الأقل فهى تعرف الآن أين يقفان، ويجب أن تتعلم معايشة هذه الحقيقة.

www.elromancia.com

الفصل السابع

بداية جديدة

غادروا يوسوكيميا صباح الخميس بعد يوم وليلة من إصابة إليكس بجراح زهور وأعشاب البحر، وعندما شعرت بتحسن وقدرة على السفر؛ وكانت هى تريد السفر فى نفس الموعد المقرر لكن جريج أصر على راحتها ٣٦ ساعة للتأكد من شفائها، وسيتدبرون الوقت الباقى لهم بطريقة أو بأخرى.

كان من الصعب إستشفاف مزاجه هذا الصباح، فهو بادى الهدوء على السطح، ورغم وجود لمحة إنطواء على الذات، وقالت هى لنفسها لن أكرر محاولتى ثانية، لقد أفصح عن مشاعره، وسألها وهما يبعدان عن الجزيرة «سعيدة للعودة إلى العالم المتحضر مرة أخرى؟».

أجابته: «هذا يعتمد على ماتعنى بكلمة المتحضر، أنا سعيدة بعودتى لوطنى، يبدو وكأننى غبت عن إنجلترا أعوام».

«عشرة أيام، ليست فى الحقيقة زمناً، وكلها كانت مهمة صحفية، أليس هذا ماكنت تقولينه؟ لتقدمى ليز رينولدز مادتك الصحفية، وتعرفين أنك تستحقين هذه المهمة».

شردت وهى تفكر بأنها لم تعد كذلك ولن تخسر قلبها ثانية «سيعجبه موضوعى، لاأريد أن أدع تلك الفرصة تنساب من بين أناملى».

«تقصدين البقاء فى مجلة وورلد؟».

«حتى تأتى فرصة أفضل».

لم يعلق، فهى لم تتوقع هذا تحديداً، ويبدو أن أى ليس فى متناولها.

كانت أشجار الليمون والبرتقال والحقول الواسعة تغطى الخط الساحلى حول يواجيما، وصناعة اللؤلؤ الصناعى هى الحرفة السائدة، حيث العوامات الخشبية الكبيرة تسند أقفاص سلكية مليئة بالمحارات والأصداف المليئة باللؤلؤ المغروس منذ ثلاثة أعوام ليشكل مركزاً هائلاً للتفريخ، وفى رأى أليكس هذا مقبول تجارياً، لعائده الباهظ، لكنها شخصياً تفضل اللؤلؤ الطبيعى.

وجدوا المدينة مزدحمة ومائجة، بعد تناولهم الغذاء، إنضمت له للذهاب إلى الإستاد حيث تجرى مباراة مصارعة الثيران، حيث الإختبار الحقيقى للقوة بين الحيوانات المدربة لهذا الهدف الوحيد، خلافاً للمصارعة الأسبانية.

شاهدت الثيران الضخمة بقرونها المعكوفة تتصارع حتى يتراجع أحدها ويركع على ركبتيه، وتذكرت المصارعة اليابانية فى طوكيو، وشردت بخواطرها هناك، حيث عادت يوكى الآن، وبعد يومين ستراها، ربما هذا هو السبب فى إصرار جريج على العودة مبكراً ــ فهى فرصته الأخيرة لرؤيته محبوبته، وعندما إبتعدوا قال لها: «أود حذف زيارة كوشى من برنامجنا، وأريد الذهاب إلى كوتوهيرا قبل المساء، وبهذا نوفر وقتاً كافياً

غداً، ستصعدين أكثر من ألفى خطوة للتسلق لتشاهدين المنطقة كلها».

«سأستعد فهو مكان لا أود أن يفوتنى مشاهدته؛ وأين تظننا سنبيت الليلة؟».

«هذا يعتمد على المكان الذى نصل إليه، هناك مكان واحد، يجب أن نقيم به الليلة، ليتاح لك مادة صحفية جديدة».

«ريوكين؟».

«نعم، لكن أكثر تقليدية من ريوكين طوكيو».

«لا يهم، أين هو؟».

مروا بالسيارة عبر المدينة، وشاهدت المناظر العابرة بدون إهتمام خاص، بعد زيارة معبد كوميرا تصل المهمة إلى نهايتها، وتكتمل مادتها الصحفية، وتقضى الأيام الباقية فى طوكيو، ولو أمكنها إستعارة آلة كاتبة، لإنتهت من المسودة النهائية لتحقيقها الصحفى، وتترك له حرية البقاء مع يوكى، ولن ينتابها ألم حقيقى، مجرد آهة فى صدرها.

الواقع الداخلى لجزيرة شيكوكو رائى، والمواطنون قلة، وقمم الجبال تغطيها غابات الصنوبر، كان الليل يرخى ستائره عندما وصلوا إليها، إلى القرية التى قصدها جريج، وجدت فندق ريوكين أصغر من مثيله فى طوكيو وفى شارع جانبى، فى المدخل رحبت بهم مضيفة بزيها الكيمونو، بإنحناءة مؤدبة، وقادتهم إلى غرفة، بابها مصنوع من الأرز وبإطار رقيق، وتغطى نوافذها ستائر من نفس المادة، وهناك لوحة بها رسم شجرة تغطى جدرانها، وأوانى زهور طبيعية تزينها، لكن ليس بها ستارة تفصلها كما فى فندق طوكيو، أشارت هى إلى ذلك فى

البداية، ورغم أن الغرفة ضيقة ولا يمكن تقسيمها إلى جزئين.

بعد إنصراف الخادمة قالت له: «أعرف أن هذا ما لديهم».

«هذا صحيح؛ نحن محظوظون لحصولنا على الغرفة».

وأضاف وهو يرمقها بنظراته «أخشى ألا يكون هناك حمام خاص بنا، ويجب أن نستخدم حمام مشترك».

«لا مشكلة، أظننى لست مختلفة كثيراً عن المرأة اليابانية».

لمعت عيناه بنظرة ساخرة «لكننى لا أظن أن الرجال اليابانيين كذلك، نحن فى المكان الذى ما زال إستخدام الحمامات المشتركة سائداً وباقياً هل يعجبك؟».

نظرت إليه «ربما أفضل مما تقدر أنت!».

ضحك «ربما تتفوقين، يجب أن نتحرك للحاق بالعشاء، هنا نظام يجب إتباعه، فقط إتبعينى».

لم يكن أمامها خيار إلا إتباعه، ما الفرق، عليها أن تجرب الحمام المشترك اليابانى.

خلعوا ملابسهم فى غرفة خاصة، ووضعوا الملابس فى سلة مرقمة، حيث يتم غسلها وتعاد إليهم فى الصباح أمسكت بالمنشفة وطوقت بها وسطها كما فعل هو، وقال لها: «لا تقلقى، لن يضايقك أحد، كل من هنا للإستحمام فقط، وليس للتلصص بنظراته، يجب أن تغتسل قبل نزول الحمام، الماء ساخن أكثر مما إعتدت من قبل، يجب أن تنسلى داخله دون قلق، وأغلقى عيونك وإسترخى».

تعجبت هل بإمكانها الإسترخاء وهو بجوارها، ربما روحها بحاجة للإسترخاء ومستعدة له، لكن الجسد لن يطيعها.

قال لها بجفاء مفاجيء: «لو كان هذا مرهقاً ومثقلاً على مشاعرك، فهى نفس مشكلتى، ويجب التغلب عليها».

حجم الحمام صغير، كان به بعض الناس، وعند المدخل هناك صنابير للإستحمام فى زوايا منفصلة، الرجال فى جانب، والنساء فى جانب آخر.

كانت تجربة الإغتسال جلوساً على أحد المقاعد الأرضية صعبة عليها، ولم تلتفت المرأتان إليها، بأكثر من نظرات عابرة، رغم أنهما كانتا يثرثران معاً.

بعد أن إغتسلوا أخذوا مناشفهم معهم حول رؤوسهم وهما ينسلان داخل المياه الساخنة، لكنها صاحت «المياه فى درجة الغليان!».

«ستعتادينها فوراً، إهدئى».

قال لها: «لست مسترخية، أشعر بتوترك».

«المياه ساخنة جداً، لا أطيقها!».

«بعد عشر دقائق لن تشعرى بذلك، لأنها أول مرة».

أثناء الإستحمام ضايقها عدم فهمها لحواره مع اليابانيين وتبادلهم الضحكات معاً، لكن بعد الخروج من الحمام وتجفيف جسمها وإرتداء الزى اليابانى، شعرت براحة تدغدغ كل حواسها ومسام جسدها، وعند العودة لغرفتهم كان العشاء فى إنتظارهم، وسألها أثناء العشاء «تشعرين بالراحة، بعد الحمام؟».

«أكثر هدوءاً وإنتعاشاً، ماذا كانت تقول تلك المرأة اليابانية لك؟».

إبتسم «كانت تسألنى هل نحن فى شهر العسل؟».

«ماذا قلت لها؟».

«قلت لها نحن نقضى شهر العسل الثانى، ظننت أنها فكرة رائعة».

«لماذا لم تخبرها بالحقيقة؟ خوفاً مما ستظنه؟».

«أشك أنها لن تحرك شعرة واحدة، هن لهن نظرة متحضرة طالما ليست علاقة مادية، يجب أن نلقى نظرة على فنادق «الحب» فى طوكيو، حيث يحجز الزوجان غرفة لفترة ما بعد الظهر فقط، حتى الأماكن اللطيفة أيضاً، لا شيء رخيص».

«إذن لماذا الكذب؟ لم يعنينى هذا».

«من السهل التخلى عنها، ولا ضرر منها».

جاءت المضيفة بعد إنتهاء العشاء، لتحمل الأطباق، وتسوى فراش النوم، كانت الساعة العاشرة، وركنوا إلى النوم للإستعداد ليوم مزدحم.

نامت فوق الغطاء بسبب حرارة الجو، وتعجبت وهى تنصت لأنفاسه المنتظمة من إرادته المطيعة لراحته، لكنه فجأة إستيقظ وإعتدل جالساً، عقدت المفاجئة لسانها، لكنه أسعفها بقوله: «النوم إستعصى علىّ الليلة!!».

فى الصباح إستيقظت لتسأله، «هل فاتنا سماع دقات المنبه؟».

أجابها «لا، لم يدق المنبه بعد، أنت تحلمين، أليكس، إستيقظى».

فتحت عينيها «كم الساعة الآن؟».

«تجاوزت السادسة».

«أشعر وكأنى فى منتصف النهار! جريج لا تدعنا نهدر ما قد كسبناه!».

وهو يرفع حاجبيه «ما الذى قد كسبناه؟» إحتقن حلقها

«أليس واضحاً؟».

«الشيء الوحيد الواضح هو رغبتنا المشتركة، وهي مسألة طبيعية ولا تزيد عن كونها إحتياج كل منا للآخر، وليس معنى هذا أننا سنستعيد ما فقدناه منذ عامين».

حاولت الحفاظ على ثبات صوتها «أدرك ذلك، لم نعد كما كنا كل ما أطلبه أن نبقى... أصدقاء».

كانت ضحكته لاذعة «في غرفة النوم أم خارجها؟» ووضع يده فوق ذراعها، وأبعدته بجفاء، وتغيرت لهجته فجأة «إنسي أنني قلت ذلك».

ظلت صامتة، محدقة فيه، متمنية لو إحتضنها وقبلها فهذه هي طريقة التواصل الوحيدة، وتنهد تنهيدة مليئة بالأسى، والأسف «يجب أن نتحرك، ما زلنا بعيدين».

لا خلاف على هذا، قام مرتدياً ملابسه، وقالت هي لنفسها، ربما أضيع وقتي مؤملة تغيراً جذرياً في مشاعره وهو أمل كالسراب، ولكن لماذا لا يتقبلها حتى الآن؟؟

كان معبد كومبيرا مقاماً فوق جبل زوزسان، شامخاً في عنان السماء، وكان متاحاً صعود تلك المسافة على ظهر البغال، لكنها فضلت الصعود مشياً على الأقدام.

وهما في بداية الصعود «لا تحاولي عد الخطوات، حتى لا تجهدي نفسك».

كان التسلق صعباً جداً، لقد قرأت عن زوار المعبد الذين يجيئون للتطهر من آثامهم وذنوبهم، ويزحفون نحوه، وكان بإمكانها الآن مشاهدتهم بين السياح وهم يطوفون حول معابد الجزيرة الثمانية والثمانون مرتدين ملابس بيضاء، ويقضون شهرين في طوافهم بدلاً من قطعها في إسبوع بإتوبيس.

عندما وصلا القمة كان الإجهاد بادياً عليهما، كان المعبد الداخلي مشيداً وسط روضة من أشجار الكافور والأرز، حيث يحيط به الريف في منظر بانورامي.

قطعنا ساعة ونصف، وسنحتاج ثلاث ساعات للعودة إلى ماتسو ياما، ولو أردنا الوصول في ضوء النهار فيجب الرحيل الساعة الرابعة».

نظر إليها وهي جالسة على المقعد الحجري قال لها: «ليس كما كنت تتخيلين؟».

أجابته بإجهاد «لو كان الجو بارد لكان أفضل، أشعر بأن العرق يغمر جسدي كله!».

«لا يبدو عليك» وتوقف، مغيراً نبراته «لقد تدبرت أفكاري هنا».

«حول ماذا؟».

«عنا، لكن لم أصل إلى نهاية بعيدة المدى، بلا شك ما زلنا عند نقطة الإحتياج الغريزي، ولا أنكر رغبتي لكن المشكلة الرئيسية هي الثقة ــ أو فقدان الثقة، لو أمكننا حلها، ربما تحقق شيئاً له قيمة بمرور الوقت».

حدقت فيه «هل تقترح أن نعود معاً مرة أخرى».

«أليس هذا إقتراحك في الصباح؟».

بحثت عن تعبير قوي تعرفه لكن لم تسعفها الكلمات «أنا... لست واثقة، أليس هذا تقلب مفاجيء عاطفياً؟ منذ أيام قليلة مضت لم يكن هناك أدنى فرصة».

وهو ينظر بعيد «إذن السؤال كان هل يمكنني الشعور بنفس المشاعر التي إعتدتها معك؟ والإجابة هي الأخرى نفس ما قلته: أصبحنا مختلفين عن ذي قبل، بحاجة للبدء من جديد،

ربما نبدأ، ربما لا، هناك سبيل وحيد لإكتشاف ذلك، ولن نخسر شيئاً».

فيما عدا الصفاء الذهنى الذى شعرت به، فهو لم يذكر موضوع الزواج، طبعاً، ومع ذلك يفكر فى إمكانية إرتباط طويل المدى، وهى تحبه وحريصة عليه، بكل قلبها، وسألته «ماذا عن يوكى؟».

«لا دخل لها، كم مرة قلت لك هذا؟ أمامها حياتها لتعيشها، ولى حياتى».

إذن لماذا الرغبة لقضاء ثلاثة أيام فى طوكيو إن لم تكن فى صحبته؟ داهمتها تلك الفكرة، وإن كان أمامهم فرصة لإبعاد يوكى عن تفكيرهم، وجمحت بها الرغبة لتحطيم كل الحواجز وأن تصيح نعم، نعم مع جريج مرة أخرى على أى أساس.

وهو ينظر إليها غير واثقاً «تدبرى الأمر، على أية حال، لا داعى للتسرع، وأفضل الآن أن نذهب قبل هطول الأمطار، وحتى لا نتدحرج على تلك المدرجات».

وصلوا إلى السيارة بمجرد أن بدأت الأمطار تهطل، وبينما يقطعان الطـريق، راودتها الأفكار، فلقد قذف بالكرة فى ملعبها، وعليها أن تحدد ردها، فقط لو أمكنها الإقتناع بعرضه وعدم تمنى الكمال، فهى لن تحل محل يوكى فى قلبه أبداً، ولكن قد تستطيع إنتزاع موضوع لها، أيضاً، ولكن هل يمكنها الثقة به.

بعد ساعة توقف المطر، ومازالت السماء غائمة والشمس محتجبة، وعندما عمت العتمة السماء وصلوا إلى ماتسوياما، حاولوا النزول فى فنادق ثلاث، حتى تمكنوا فى النهاية من الحصول على غرفة.

لكنها إكتشفت أنه حجز غرفتين منفصلتين، متجاورتين، «أظن أننا بحاجة للراحة، سأقابلك فى العشاء بعد ساعة».

وهى وحيدة فى غرفة جميلة، أخرجت فستانها لإرتدائه بعد الحمام، الذى بدا ضئيلاً مقارنة بحمام أمس اليابانى، وللمرة الأولى منذ إسبوعين قامت بعمل ماكياج كامل، وصففت شعرها.

وجدته ينتظرها فى اللوبى، وقال مبتسماً «العودة إلى الطبيعة مرة أخرى؟».

«لا أكثر ولا أقل، ها سنتناول طعامنا هنا؟».

هز رأسه «أظن أننا بحاجة للتغيير، أتحبين الطعام الإيطالى».

«حسناً، نعم، لكن لا تلزم نفسك بسببى».

«بل أنا أحبه، ويجب أن تأكلى جيداً قبل العودة».

ركبوا تاكسى إلى مطعم فى وسط المدينة، وإتفق مع السائق للعودة لتوصيلهم، كان المطعم غاصاً بأوروبيين ويابانيين، وكان قد حجز تليفونياً مائدة لهم.

وقالت: «دائماً تخطط لكل شىء».

«ليس كل شىء، فالخطط دائماً لا تفيد».

وبعد فترة «سنعود إلى الوطن يوم الإثنين وأتوقع منك رداً قبل ذلك».

نظرت إليه وهى تتمنى لو بإمكانها قراءة ما بداخل رأسه من أفكار «أواثق من رغبتك؟».

«وإلا لما كنت إقترحتها أصلاً، سأكمل الخامسة والثلاثين الشهر القادم».

«هل كنت تخطط فعلاً لطلب الزواج منى يا جريج؟».

« فعــلاً » .
تحولت أنفاسها إلى تنهيدة طويلة « حتى أفسدت أنا كل شيء » .
« ولذا نعطى أنفسنا فرصة ثانية ، لقد إتفقنا فعلاً بأننا متوافقان على الأقل للإقامة معاً » .
« ألست متوقعاً إنتقالى للإقامة معك ؟ » .
« ليس فوراً ، لن أتعجل ، ولن أكرر خطأى السابق ، هل إعتبر هذا موافقة منك ؟ » .
« أظن أننى وافقت » .
لك حرية الإختيار ، إن لم تكونى مستعدة ... » .
« أنا مستعدة ! ، فعلاً يا جريج » .
« الزمن سيبرهن على ذلك » .
بعد إنتهاء العشاء رقصوا مراراً على أنغام الموسيقى، وهى مغمضة العينين ، تخيلت عدم حدوث العامين الماضيين وكأنها تحبه للمرة الأولى ، وعندما عادوا إلى الفندق فتح باب غرفتها ، وجمحت بها التخيلات حتى ناولها مفتاحها « لقد طلبت التاكسى الساعة الثامنة والنصف لتوصيلنا إلى المطار ، لذا لن نتأخر عن الإقطار السابعة والنصف ، نامى جيداً » .
عندما أصبحت وحدها إستندت بظهرها إلى الباب ، مندهشة متسائلة ما الخطأ الذى وقع ، هل الأمر كله كان نكتة لاذعة منه ، إهانة لها ؟
حاولت أن تريح نفسها مؤكدة محال هذا ، ولكن حتى لا تقضى ليلتها مؤرقة ، قررت التأكد بنفسها .
عندما فتح لها باب غرفته قال : « بدأت أظن أن الرسالة لم تصلك جيداً » .

وهى تشمخ بأنفها ورأسها عالياً « أهذه طريقتك لتركيعى وإذلالى ؟ » .
« إن كان هذا ما تحب أن تطلقيه عليها ، لم أقصد كل ذلك ، هل تأتين عندى لم أذهب إليك ؟ » .
« هنــا » .
عندما إستيقظت داهمها إحباط مفاجىء بتذكر العودة إلى طوكيو ، ومصاحبته يوكى ، الذى لن يكون فى صالحها . وتساءلت هل إستعدت ثقتى فى حبه لىّ .
ولم يعاودها النوم بينما الفجر ينسج خيوط ضوءه لينير أرجاء الكون .

الفصل الثامن

الحب أم الواجب ؟!

كان مطار طوكيو المحلى يبعد عن وسط المدينة ربع ساعة ، وغمرتها السعادة لعلمها أنهما سينزلان فى نفس الفندق « ريوكين » وعندما غادرت المضيفة الغرفة إعترفت له « كنت أتمنى هذا ، لم تكن ليلة أمس كما أريد ! » .

رفع حاجبيه « هل فشلت ؟ » .

أجابته بغموض « بإرادتك ! » .

« هكذا بداية كل شىء ، ولم أعد شاباً كما كنت » .

« آه ، هل أصبحت على بعد خطوات من القبر ! » شعرت بالعاطفة تجتاحها « ماذا فى برنامجك ؟ » .

« الغذاء أولاً ، التسوق ثانياً ، لم نذهب إلى ميتسكوشى المرة السابقة ، انها تجربة مفيدة ، هناك أشياء يجب أن تشتريها من هنا ! » .

إعترفت له « ربما شيئين ، ماذا بعد ذلك ؟ » .

« سنقضى المساء مع يوكى وشايج » .

« لم أكن أتوقع ذلك ، متى خططت له ؟ » .

« هذا الصباح ، وأنا فى الحمام » .

« إتصلت بها تليفونياً ؟ » .

« لم يكن معى حمام زاجل !! » .

« وهو كذلك ، ... هل أخبرتها ؟ » .

« أخبرتها » .

« كيف كان ردها ؟ » .

« تتمنى لنا حظاً سعيداً ، ماذا كنت تتوقعين منها ؟ » .

إعتبرته سؤالاً بلاغياً ، لأنها شعرت بمدى إرتباطه بتلك الفتاة اليابانية .

أثناء تناول الطعام ، كان الجالسون على المائدة المجاورة لهم ، مجموعة من الأجانب المتغطرسين الذين لم يكفوا عن إنتقاد كل ما يقدم لهم من طعام ، قالت له : « مثل هؤلاء الأشخاص ينبغى ألا يسمح لهم بالسفر خارج أوطانهم ! كيف يحافظ هذا الجرسون على هدوئه معهم ؟ » .

« إبتسامة على وجه نمر ، لكن مثل هؤلاء موجودون بكل الجنسيات ، لسوء الحظ » .

أشار للجرسون ليحضر الفاتورة ، قالت له وهم يودعونهم بإنحناءة وأدب عند الباب بعد تبادله كلمات معهم « تحظى بترحيب خاص هنا ، معرفتك بلغتهم تفتح لك كل الأبواب » .

صحح لها « بعضها ، قلت هذا من قبل ، لست يابانياً ، مهما كانت الصداقة وثيقة ، يتبقى عاملاً أساسياً » .

فكرت أن هذا هو سبب عدم زواج يوكى منه ، وهذه لصالحها ، يجب أن تشكر الظروف !!

تقع ميتسوكوشى فى مبنى عملاق على اليمين من قلب حى جينزا ، « لو أردت شراء « يوكاتا » ستجديه فى الطابق الثالث والرابع » .

www.elromancia.com

جاء رجل أنيق الملابس للترحيب بهم، وقادهم إلى المصعد، ولم يكونا وحدهم اللذان لاقيا ترحيباً حاداً، بل هناك زوجين أمريكيين، وأعلنت الزوجة أنها لم تلقى مثل هذا الترحيب فى نيويورك بلدها، وجدوا قسماً خاص بأزياء الكيمونو، إختارت أليكس واحداً لونه أزرق وأبيض، قالت له مندهشة «لماذا لم تشترى واحداً؟».

«لا أحب الإحتفاظ بذكريات يابانية فى منزلى، كل شىء فى موطنه، هناك معرض فنى الساعة الثامنة، لو أردت، ويجب أن نعود لتغيير ملابسنا لمقابلة يوكى وشايج، لذا يجب أن تنجزى كل ما تريدين الآن».

كانت قد تناسب تلك الأمسية خلال الساعتين الماضيتين، وعندما يعودان إلى الفندق الساعة الخامسة، «سأفتقد هذه الخدمة المرفهة عندما أعود إلى لندن».

«لو لم يكلفك بن رينولدز بمهام جديدة، لكن لدى إحساس أنك ستسافرين كثيراً بداية من الآن».

قالت ببطء: «أظنك لا تفترض تغيير مهنتى، لا أمل فى ذلك؟».

«لا أفترض ذلك، لكن ربما هذا هو الوقت المناسب لأقول أنك رسخت أقدامك فى بلاط الصحافة، ولكن يجب أن نرسخ رباطنا نحن».

نظرت إليه طويلاً «تقصد.... الزواج؟».

مؤكداً «نعم أقصد الزواج، أريده زواجاً حقيقياً يا أليكس، متسق مع كل المشاعر، ونتفاهم حول كل شىء».

بصوت هادى «مثل ماذا؟».

متفكهاً «الأطفال مثلاً، أفضل طفلين، أنا كنت وحيد

ولا أريد ذلك».

عارضته «أنت متعجل، لم أفكر فى هذا!».

«لكن يجب أن تفكرى فى كيفية شعورك بهذا».

«حسناً، نعم، أظن ذلك، أنا أحب الأطفال أيضاً، فقط...».

«فقط، ماذا؟».

إستجمعت شتات ذهنها، لتطرح إجابة صادقة «أريد التأكد من إستمرارنا معاً، لأن الأطفال هم الذين يعانون شقاء الطلاق».

«لو تزوجنا، سنظل معاً دائماً».

تفكرت فى دلالة «لو» لم يصارحها بحبه لها، لكن لماذا؟ يوكى تحتكر عاطفة حبه، قالت له وهى تهرب من خواطرها «لا يمكنك إقامة زواج على الإعجاب الجسدى يا جريج».

وهو يتفحص ملامحها «البعض يتزوج لأسباب دون ذلك» وهو يطوق عنقها بيده المتسللة تحت جدائل شعرها المنساب وتتلاقى الشفاه فى قبلة تنطق بما لم تنطق به الكلمات «ويمكننا أن نتزوج».

لكنها قررت ألا تلزم نفسها بأى وعد إلا بعد تفكير عميق.

كان المطعم الذى سيتناولون عشائهم به صغيراً، معتماً مختبئاً خلف الممر، وكانت يوكى وشايج فى إنتظارهم فى غرفة جيدة الأثاث تزينها ورود متسقة، رحبت بهما يوكى، قبلت جريج فى شفتيه وأليكس فى خدودها، إنحنى شايج فى أدب جم، فهو لم يعتد التقاليد الأوروبية.

قالت يوكى: «يبدو وكأننا لم نلتقى من زمن طويل، يجب أن نعرف كل ما شاهدتم الإسبوع الماضى».

كانت أليكس راضية بقيام جريج بسرد معظم التفاصيل وإكتفت بالتعليق أحياناً، كان شايج مهتماً بكل مايقال، أو متظاهراً بذلك، مثل الجرسون فى المطعم الإيطالى، غلفت إبتسامته وجهه دائماً.

لاحظت أنه حسن المظهر، وذكى، مجرد صديق ليوكى، وتعجبت هل هذه هى مشاعره فقط ناحيتها، مؤكد أنهما صديقان ممتازان، هذا على الأقل واضح من طريقة حديثهم معاً، وقالت لنفسها ربما الزمن كفيل بتعميق علاقتهما معاً، يوكى امرأة قوية الشخصية لحرمانها نفسها من الرجل الذى أحبته لمجرد إختلاف الجنسية، لكن ليس معنى هذا أنها ستقضى بقية حياتها وحيدة.

بعيداً عن ذلك، أعجبها طريقة تعاملهما، فن لا يعرف قصة الحب الخفية بينهما، لن يشك فيها، هى فقط لمحت مرات عابرة الحزن الدفين فى عيون يوكى، عندما أعلن جريج إعادة علاقتهما، ولكنها خمنت أنه يحاول التأثير فى يوكى لترضى بالزواج منه.

فى العاشرة غادروا مطعم ريوريا، فى الشارع حياة أخرى صاخبة وهواء منعش وليس روائح الطعام، وشاهدوا أحد لاعبى الحظ واليانصيب جالساً أمام مائدة وبيده الأوراق وعلبة الحظ، وعندما توسطوا حى الجينزا قالت أليكس: «كنت أريد دخول أحد الملاهى الليلية، كمجرد تسلية محلية».

ردت يوكى معتذرة «الملاهى الليلية للرجال فقط».

نظرت أليكس فى دهشة بالغة «تقصدين محظور دخول النساء؟».

قال جريج موضحاً «إنها مسألة تكتيكية الفهم، يمكن السماح لك بالدخول لكن لن تستريحى» وأضاف عندما بدأت

تعترض «لن نذهب، هذا مافى الأمر».

عرضت يوكى كنوع من الترضية «يمكننا الذهاب إلى الديسكو لو أردت هناك العديد لتختارى أحدها، أو نعود إلى شقتى لشرب القهوة؟» وإبتسمت لجريج «كما ترى، إكتسبت كثير من العادات الغربية!».

رد عليها «فقط أفضلها، وهى كما يبدو طريقة لإهدار المساء» ورفع يده لإيقاف تاكسى.

أثناء العودة ظلت أليكس صامتة، غاضبة منه، ومحاولته فرض سطوته عليها، وكيف كان بإمكانها معرفة أن النساء لا يدخلن الملاهى الليلية فى اليابان؟.

عند وصولهم الشقة، تبادل شايج معهم حديثاً مهذباً عن المدينة وأحيائها، وإعترف جريج إنه اندهش وهو يشاهد حجاج فوجى، حيث سينتهى الموسم خلال إسبوع، والطريق إليه مغلق حتى يوليو القادم، وأدركت هى أنه يجب ألا يضيع منها فرصة المشاهدة.

أعربت يوكى عن شكوكها فقى رأيها أن التسلق إلى قة الجبل للمعبد شاق جداً، ويجب الإستعداد لها بعد الظهر وقضاء الليلة فى أحد الملاجىء الحجرية إن أرادوا مشاهدة شروق الشمس.

أصرت أليكس «لكنها تجربة تستحق!».

رد جريج «سنعود مرهقين».

«لا يهم، يمكننا النوم فى الطائرة إلى لندن، هى فرصة يجب ألا نهدرها، وهذا أحد أسباب وجودنا هنا».

إقترح شايج «لماذا لا نقوم بها نحن الأربعة، لقد مضت أعوام ولم نذهب هناك».

بدأت يوكى «لا أظن...».

قاطعتها أليكس «آه، يجب أن تأتى، لن يكون لها معنى فى غيابك!».

«شكراً لك يا أليكس».

قالت والغضب فى عينيه «إذن إتفقنا، يجب أن نرحل مبكراً، كما أعتقد، خلال ساعتين بالقطار سنصل».

قال شايج: «سنسافر فى سيارة أخى، بهذه الطريقة يمكننا الوصول للمحطة الخامسة، ونصعد فى خمس ساعات فقط بدلاً من تسع».

تعجبت أليكس خمس ساعات! وبدأت تشك فى تلك المخاطرة، ثم رحلة الهبوط أيضاً، ولمحت نظرة يوكى محاولة الإعتذار عن حدتها السابقة، وفى أعماقها ألم دفين، قالت لنفسها، سواء أخطأت أم لا، فلقد خسرت الرجل الذى أحببته.

أضاف شايج «سنحتاج ملابس ثقيلة، سيكون الجو بارداً فى القمة، وطعام أيضاً، هذا كل ما يمكن ترتيبه».

أضاف جريج «إذن يجب أن ننام جيداً لنستعد لهذه الرحلة الشاقة».

تبعهم شايج فى خروجهم إلى الشارع، فهو يسكن قريباً ويحب المشى، عندما عرض جريج توصيله فى طريقهم، وقال سيأتى للفندق فى الحادية عشر ليركبوا معه، ولم يتبادلان الحديث فى التاكسى، وعندما أصبحا فى الغرفة قال لها: «يجب أن تتعلمى من اليابانيين، الأدب لا يكلف شيئاً».

أجابته بعناد: «لم أفعل خلاف ذلك، إذن أسأت فهم مسألة الملاهى الليلية..».

قاطعها «لا أتحدث عن ذلك، وحتى هذه لو أعددت نفسك بالقراءة لعرفت ذلك، كانت يوكى الليلة متحفظة لتطاولك عليها الليلة».

شعرت بجفاف حلقها «يمكنك إيعاز ذلك للغيرة».

«ليس هناك ما تغير منه؛ لم نمارس الحب معاً، إن كان هذا ما يهمك».

فكرت والألم يعتصرها، حبها رومانسى يحلق فى السماوات العليا! وحاولت إستعادة توازنها «إذن سأعتذر فى الصباح عن أى شىء قلته وربما أغضبها».

كان هناك لحظة صمت، وعندما تحدث كان بادى القلق «فقط دعيها تمر، سيضايقها أن شعورها خانها وأفصحت عنه للجميع».

جاء شايج بسيارته ومعه يوكى، ومعهم ملابسهم الثقيلة، وقبعات تقيهم المطر والعواصف، وداهم القلق أليكس حول مصاعب الرحلة التى ضعف حماسها لها، وأثناء جلوسها بجوار يوكى فى السيارة أظهرت لها مودة ومشاعر صادقة، وهى فى قرارة نفسها عازمة على أن تكون كريمة معها، ربما ليوكى مكان فى قلب جريج، لكنها لم تلتق به كياناً كاملاً، رجلاً حقيقياً، وهى التى ستصبح زوجة له وأم لأطفاله لذا يجب أن تصبر حتى يتعلم كيف يحبها مثل حبه ليوكى.

كان جبل فوجى رائعاً، مظهره خلاب يبهر الأنظار، حتى فى هذه الأيام الحارة، والصيف اليابانى وشمسه الحارقة، ما زال الثلج يتساقط فوق قمته.

فى المحطة الخامسة كانوا فى منتصف الطريق إلى قمته، فى الواحة والنصف، وحيث يمكنهم مشاهدة البحيرات الخمسة

المحيطة بالقاعدة الشمالية لفوجى، إندهشت أليكس وهى تشاهد كثيرين من جنسيات مختلفة يصعدون الجبل ومن أعمار مختلفة أيضاً، حتى الشيوخ فى السبعين!! حتى مجموعة من المكفوفين يقودهم مرشد.

كان هناك حجاج أصواتهم تملأ الفضاء، توقف جريج لإلتقاط صور، وإقترحت أليكس «يجب أن تنشر ما لا يوافق على نشره بن رينولدز، وتنشره لحسابك» رؤية لأعماق اليابان من مشاهد خارجى له ميزات خاصة».

أضافت يوكى «فكرة عظيمة، ياجريج، ربما تكتب أليكس القصة بنفسها للكتاب».

إعترضت أليكس «لم أقصد ذلك، يمكنه كتابة النص بنفسه.

أجابها «بدون المعيتك، فهى مسألة يمكن تدبرها بعد عودتنا فرئيس التحرير لن يستخدم أكثر من ثمانى صور غالباً».

إسترقت أليكس نظرة إلى يوكى، التى تدفعها هى وجريج للإرتباط معاً، غير عابئة بجراحها، ربما يدرك هو ذلك أيضاً رغم عدم إظهاره أى رد فعل، ربما تعلم من إقامته فى اليابان كيف يقهر مشاعره.

أصبح الطريق إلى قمة الجبل شاقاً حيث تنخفض الحرارة كلما إرتفعوا؛ عند كل محطة هناك محال لبيع الهدايا والمرطبات، وفى السابعة والنصف لم يكن لديهم وقت للتوقف أو الراحة، فى المحطة السابعة والثامنة كان هناك ملاجىء حجرية، إختار جريج الأخير، كانت الملاجىء مهيئة للراحة، إستلقت أليكس وظهرها للجدار ويدها ممددة فوق الموقد الغازى الذى أحضره شايج، فهى مرهقة تشعر بالبرد يسرى فى

أوصالها، بينما يوكى منتعشة كما هى منذ البداية، وبدأ الجميع يسقط فى النوم، وعندما بدأت تباشير النوم تداعب أهدابها شعرت به يطوقها بذراعه «هكذا تشعرين بالدفء».

فى الجانب الآخر كانت يوكى نائمة ووجهها فى الجانب الآخر، وخلفها شايج.

عندما إستيقظت كان يحادث يوكى بصوت خفيض، ولم تلتقط مغزى حديثهما، فهل يتناجيان بعذابات قلبيهما قبل الوداع؟

عندما بدأت رحلة الصعود الأخيرة لقمة فوجى فى الساعة الثالثة صباحاً كان البرد قارصاً، والريح عاتية، قال لها: «ستكونى على ما يرام بمجرد بدء الصعود».

صاحت «لا تذكرنى، سيصيبنى الجنون!».

أكد شايج «عندما تشاهدين شروق الشمس فوق قمة فوجى ستجدى أنها تستحق العناء».

وصلوا القمة فى نصف ساعة، ليجدوا المكان غاصاً بالناس، كانت السماء ناحية الغرب يلوحها لون وردى أحمر، وبدأ اللون يتزايد ويتسع حتى ظهر الشعاع الأول حتى صاح الجميع بنزاى! فى القاع البعيد العميق ظهرت الجزر والباسفيك الممتد المترامى.

لم يكن هو وحده الذى يلتقط الصور، لكنه الأجنبى الوحيد، أخرجت هى مفكرتها حاولت تسجيل إنطباعاتها، وسألها شايج «أظنك سعيدة الآن؟».

أكدت له «جداً».

قال جريج: «سنبدأ رحلة الهبوط فى الثامنة، حتى نصل إلى طوكيو ونتناول طعامنا ونستعد للإقلاع للمطار».

أجابته : « أشعر أننى لن أقدر وسأقع من الإرهاق » .
مؤكداً « سأضع عينى عليك » .

يرجع تاريخ بركان فوجى لأكثر من مائتى وخمسين عاماً وما زال وادى حجرى تغطيه الحشائش والأعشاب ، قد يثير إهتمام الچيولوچيين ، لكنها محبطة من التعب ، جلست فى بقعة للراحة ، بينما شايج يغلى اللبن المحلى بالسكر « أنت كريم جداً يا شايج ، ويوكى محظوظة بكونك صديقها أم أن بينكما ما هو أكثر من الصداقة ؟ » .

بدون غضب « ليس بيننا سوى الصداقة » .

« لأنها تحب ... شخصاً آخر ؟ » .

هز رأسه « أنها قصة مأساوية حزينة » .

كان سؤالها يفتقر للأدب ، بل ينضح بالتطفل ، لكنها لم تستطع الصبر وقالت له : « مؤكد أن دواتها فى متناول يدها ؟ » .

« فقط لو كانت مستعدة للتضحية بتحفظ عائلتها ، ومن المشكوك فيه أنها ستفعل ذلك أبداً ، أنها مسألة لن تستطيعى فهمها ، أتريدين مزيد من القهوة ؟ » .

هزت رأسها ، للمرة الأولى شعرت بتعاطف حقيقى مع تلك المرأة التى تفخر بتضحيتها بسعادتها الشخصية وفاء لتراثها ، ماذا ستفعل ، جريج يمكنه التغلب على مشاعره ونسيانها ، لكنها لن تنساه أبداً .

قال جريج عند عودته مع يوكى « لقد حصلت على كل ما أحتاجه ويمكننا بدء الهبوط بعد الإنتهاء من القهوة » لمعت عيناه بتعبير غامض « فقط بعد أربعة عشر ساعة سنعود لوطننا هل ستتحملين كل هذه الإرهاق ؟ » .

« سأحاول » .

كان الهبوط أسهل كثيراً من مشقة الصعود ، رغم شدة الحر وتزايده كلما هبطوا ، عند المحطة السادسة أمكنهم خلع الملابس الثقيلة ، وأصبحت قمة الجبل الآن فى السحاب قالت أليكس : « صعودنا يبدو وكأنه إنجاز ، لن يصدق رئيس التحرير أننى صعدت هذا الجبل ! » .

علق جريج « مؤكد أنه كان يتوقع هذا منك ، دائماً يتوقع هذا ، وربما لديه فى الجعبة الكثير لك » .

توقفوا فى الطريق لتناول الطعام ، وصلوا طوكيو الساعة الرابعة بعد الظهر ، وحجز يوماً إضافياً فى الغرفة للراحة والإستحمام وتغيير الملابس قبل الذهاب للمطار ، وذهبت يوكى وشايج على وعد بالعودة فى الساعة السادسة والنصف ..

فى طريقها للغرفة قالت : « سيجيثان لوداعنا » .

بدأت تحزم أمتعتها بينما هو فى الحمام ، وبدأت تسترجع أفكارها ، وقررت العمل على تعميق إرتباطه عاطفياً بها وليس مجرد الإكتفاء بالإعجاب والإنجذاب الجسدى ، مهما استغرق من وقت وجهد .

عادت يوكى وشايج لتوصيلها للمطار ، كانت يوكى لحظة الوداع أكثر هدوءاً ، ولمعاناً ، وعندما سمعت النداء على رحلتهم شعرت أليكس براحة غامرة ، تبادلوا كلمات الوداع بإختصار ، ولم يلتفت جريج خلفه وهم يتخذان الطريق عبر صالة السفر .

أمام قسم الجوازات ، بدأت تستجمع تركيزها أخيراً ، وحدها معاً ، وعليها أن تتكيف مع هذا الواقع الجديد .

الفصـل التاسع

الحب الوحيد

كان المطر يهطل غزيراً عندما هبطت الطائرة فى مطار هيثرو، تركها بجوار الحقائب ليحضر سيارة وهو يعلق على الطقس « صباح بائس، بارد، مقارنة بالطقس اليابانى، أما زلت مرهقة ؟ » .

لقد نامت معظم الساعات الستة عشر مدة الرحلة ومع ذلك لم تسترح « أفضل كثيراً، أظن لن أستعيد نفسى إلا بعد يومين » .

ربما قرابة إسبوع، حسب تجربتى السابقة، هل سينتظرك رئيس التحرير كل هذه المدة ؟ » .

ضحكت « لا مفر! سأعود للمكتب يوم الخميس على الأقل ومعى المسودة النهائية للموضوع » .

« أظنك تستطعين ؟ » .

« بقليل من الجهد يمكننى، فالشكل النهائى للموضوع موجود؛ ربما تكن فكرة هائلة لو اطلعت عليه قبل تسليمه، للتأكد من عدم إرتكابى أخطاء » .

« لا خطر من ذلك » .

لمعت عيناها، وإضربت دقات قلبها، وهما يعبران النفق، فلقد عادا غريبين كما كانا، وهى ليست واثقة من كيفية تصرفها، يوكى ليست ورائهم فى اليابان، بل معهم فى السيارة .

قال لها دون الإلتفات إليها « يجب أن تشيرى لإتجاه مسكنك، هل هو شقة ؟ » .

« نعم، فى الطابق الأرضى، إنتقلت إليها بعد عملى فى مجلة وورلد، لم أكن أستطع دفع الإيجار قبلها » .

« ليست مشتركة، إذن ؟ » .

ضحكت « لا، ليست كبيرة، غرفة واحدة، وصالة ومطبخ وحمام » .

« ماذا تحتاجين غير ذلك ؟ » .

« لا أكثر من ذلك، كما أظن، أنها أفضل مائة مرة من سكنى السابق، كنت محظوظة لعثورى عليها، خصوصاً بإيجارها الزهيد، صاحب المنزل يبدو مهتماً بنوعية السكان أكثر من إهتمامه بالمال » .

« نموذج نادر فعلاً » .

حمل لها حقيبتها إلى المدخل فى المنزل العتيق الضخم فى ويمبلدون، ورفض دعوتها لتناول القهوة .

« كلانا بحاجة لنوم عميق، سأتصل بك فيما بعد » .

إنتظرت حتى تحركت السيارة، وفتحت الباب وهى تشعر بالإحباط يلتهم مشاعرها .

صحيح أفضل شقة سكنتها منذ جاءت لندن، وأفضل مهمة تنجزها منذ عملت فى بلاط الصحافة، لكن عندما إستيقظت فى الصباح كان المكان يبدو مبعثراً بالأثاث، ووجدت نفسها

www.elromansia.com

تفتقد نظافة وبساطة غرفة المعيشة اليابانية، وتفتقد جريج أيضاً، وغير واثقة من مشاعره، ربما ندم على طلبه لها البدء من جديد معاً.

سمعت رنين التليفون بجوارها، كان هو الذى يتصل «ما زلت نائمة».

«نعم، كم الساعة الآن؟».

«السادسة، هل يمكننا تناول الغذاء يوم الخميس؟ حتى نتحين الفرصة للتشاور».

«فكرة جيدة، متى؟».

«الثانية عشر والنصف فى مطعم لوسكارجوت».

«جميل، آسفة، إلى اللقاء!».

وضعت السماعة، جلست منكفئة الرأس فوق ركبتيها للحظة، لتبعد شعور اليأس وإلتقاط الجانب المظلم فى كل شىء، حتى يعلنها هو بأنه تراجع عن رأيه فى أمر مستقبل علاقتهما، وأراحت نفسها بأنه لن يتراجع، ربما لديه شكوك، لكن يمكن إزالتها، كل ما يحتاجانه هو التواصل والعودة ولئم الصدع.

أمضت معظم نهار الأربعاء فى صياغة الموضوع الصحفى، ومعظم الليلة مؤرقة.

عندما لمحها بن رينولدز وهى تطل بوجهها عند باب مكتبه «تبدين وكأنك قد إستنفذت كل طاقتك، وكأنك مصباح فى زيالة ضوئه الأخير، أرسلتك هناك لتشاهدى حياتهم لا لتعيشيها!!».

«ما زلت مرهقة من الطيران، وكتابة الموضوع على الآلة الكاتبة» ووضعت المظروف فوق المكتب أمامه «ها هو،

أتمنى أن يعجبك».

وهو يتأملها «وكذلك أنا، هل لديك فكرة عن موعد إحضار وايلد للصور؟».

«لم يخبرنى».

«كيف سارت أموركما معاً؟ يبدو أنك أنجزت المهمة ببراعة كما يبدو ظاهرياً».

حاولت الحفاظ على حياد تعبيرها «كان مفيداً لمعرفته باليابان.. أنهم شعب مختلف».

«واضح أنهم مختلفون، هم يابانيون، إن كانت تلك المحصلة النهائية التى وصلت إليها، ستفقدين وظيفتك وتمكثين فى البيت!».

«إقرأ موضوعى لترى، أنا أكتب أفضل مما أتحدث».

«يجب أن تكونى كذلك» حرك يده ليصرفها وهو يرفع سماعة الهاتف «أراك فيما بعد».

جلس تونى جاكمان بجوارها «ظننت أنك ستقيمين هناك دائماً، إستمتعتى بالرحلة؟».

«شكراً، إستمتعت جداً؛ مكان عظيم».

«مؤكد إستمتعت بكشف أعماق اليابان، هناك شائعات عن علاقتكما القديمة أنت ووايلد، ربما هذا جعل الأمر سهلاً».

وافقته «كثيراً، بماذا تشغل نفسك الآن؟».

«يعتمد على تعتبرينه إهتماماً، بعض الانثربولوچيون توصلوا إلى بعض القبائل المفقودة فى غينيا الجديدة ويفكر رئيس التحرير فى إرسال فريق صحفى».

حدجته بنظرة تساؤل «ألست شغوفاً بتلك الفكرة؟».

« وأنت ؟ » .

تجاهلته « لن يطيب لرئيس التحرير رفضك للمهمة » .

« لم يعرضها علىّ بعد ، أرأيت » .

إذن هل هذا يعنى أنه فى إنتظار تقييم أدائها الصحفى ، وشردت بخواطرها ، إن لم تتطور علاقتها بجريج ، فستكون مهمة غينيا الجديدة هى الشىء الذى تحتاجه للتأمل وإتخاذ قرار ، .... حسناً ، هذا شىء يمكن التفكير به .

وصلت إلى المطعم أولاً ، وبعد ربع ساعة جاء هو ، « آسف ، تبدين مرهقة » .

لو قال لها أحد غيره ذلك ، لقهقهت ضحكاً !! هى مرهقة ، ليس إرهاقاً بدنياً ، وأجابته « أنا بخير ، هل طبعت الأفلام ؟ » .

« طبعاً ، سأحصل عليهم بعد الظهر » .

« هل أنت راضى عنهم ؟ » .

« سأحاول المبالغة ، ماذا عن موضوعك ؟ » .

« لم يعلن رئيس التحرير عن رأيه بعد ، وهذا يعنى إما أنه مشغول جداً ، أو تحاشى القول بأنه موضوع ردىء » .

« من معرفتى به ، هو لا يضيع وقتاً ، ولو كانت لديه شكوك فى قدراتك لم يكن ليرسلك فى المهمة أصلاً » .

وهو ينظر إليها « لقد فقدت كثيراً من وزنك يجب أن تذهبى للطبيب » .

تعجبت ، طبيب قلوب أم طبيب عقلانى ؟ ونظرت إليه صامتة للحظة ، وهى تحاول الإلمام بالموقف كله « أظن ذلك » .

فجأة ودون توقع قال بلهجة مرحة وكأنه يجيب على سؤال معلق فوق رأسيهما « أعتقد يجب أن نتزوج بسرعة قدر الإمكان ،

هذا إن لم تكونى قد غيرت رأيك ثانية ؟ » .

إجتاحتها عاطفة جامحة لم تستطع السيطرة عليها ، وأدهشها أنها قالت له : « كيف بسرعة ؟ » .

إبتسم وهو يرفع كتفيه « فى عيد ميلادى ؛ حتى لا أنسى العيد السنوى لزواجنا » .

عصفت بها رغبة لتحطيم كل الحواجز ، لكنها قاومت جاهدة « لماذا التعجل المفاجىء ؟ » .

« لأننى أعتقد بحاجتنا للأمان » وإبتسم ثانية « فضلاً عن عدم ثقتى فى إحتمال فترة الإنتظار ! أليكس ، لقد أمضيت الساعة الثمانى والأربعين الماضية أفكر فى الأمر ، لدينا كل شىء » .

كل شىء فيما عدا شىء واحد هى بحاجة له ورغم ذلك ستقول له نعم ، هى تحبه فوق كل تصور ، بداخلها خيط ألم مرير .

« هذا يتيح لنا فقط إسبوعان لإتمام الزواج » أمسك بيديها « لا يهمنا ؟ أول خطوة شراء خاتم الزواج » .

يبدو وكأنك خططت لكل شىء ، هل أنت واثق منى يا جريج ؟ » .

« أنا واثق مما أريد ، فقط أتمنى أن تشعرى بمثل ما أشعر ، طيلة اليومين السابقين » .

إتسعت عيناها « تقصد أنك تركتنى قاصداً لغرض ؟ » .

« هذا صحيح ، لم تكونى واثقة ونحن نعود لأرض الوطن ، كان يجب توفير فرصة للتفكير » .

جاء الجرسون ، ولم يكونا قد قرأ القائمة ، قالت له : « سأتناول ما تختاره » .

فى طريقهما للمكتب، ذهبا إلى جواهرجى، جربت عدة خواتم من مجموعة قدمها لهم البائع الشاب، شعرت وكأنها فى حلم، أخيراً إرتبطت به!! هو نفسه الذى تناول الخاتم الماسى وألبسه إصبعها قائلاً: «ها هو الخاتم».

فى السيارة قالت له: «مؤكد أن ثمنه باهظ!» ضحك بصفاء «خاتم صغير، ربما المكافأة التى سأحصل عليها من مجلتكم تساعدنى فى ثمنه».

«لا أظن أن تلك المكافأة ستكون كبيرة».

«أهذا ما قلته لك، كنت أبحث عن تعاطفك، لن تتزوجى متسول».

شعرت بإسترخاء وإبتسمت، «سعيدة لسماع ذلك!».

بعد لحظة صمت «أعرف أن أبويك توفيا، لكن هل لديك أقارب من العائلة على قيد الحياة؟».

«أعمامى الإثنين فى بريستول، لم يظهرا أى إهتمام بما فعلته فى الأعوام السابقة».

«ربما يفاجئونك، أنا محظوظ، أمى متلهفة لتكون جدة!».

سألها «أين تحبين الذهاب؟».

غمغمت «لا أظنك تحب رحلة إلى غينيا الجديدة؟».

«أهذه مهمتك الجديدة؟».

«لست واثقة، ربما، هل تعترض؟».

«لماذا أعترض؟ إنه عملك، نحن نشكل فريق عمل جيد، ربما تستحق التفكير، هذا يعتمد على رينولدز، بعد حصوله على الصور، هل لديه مصورى صحف؟».

«ليس فى مستواك، هو متلهف على فرصة الإستعانة بك ثانية!».

«لننتظر لنرى، لست مترخصاً هكذا».

«هل ستخبر أسرتك أننى نفس الفتاة التى كنت تقيم معها منذ عامين؟ أظنهم كانوا يعرفون».

«ربما قلت لهم فى خطاباتى، لا مبرر لإخفاء ذلك عنهم، أمى ستستخرج معلومات تاريخية مفصلة منك خلال أربع وعشرين ساعة من لقائك بها، وسيرضيها فكرة عودتنا لبعض ثانية.

على مقربة من مبنى المجلة «إنزلنى هنا حتى أوقف السيارة».

إتصلت بها سكرتيرة رئيس التحرير بعد وصولها مكتبها بدقيقتين. عندما دخلت كان مظروف موضوعها أمامه، ونظر إليها، وتوقعت أن يقول لها أن جهودها مجرد مضيعة للوقت والمال. لكن عندما تحدث، إجتاحتها راحة غامرة وسعادة بالغة.

«لقد قمت بمهمة ممتازة، أفضل مما توقعت لو وصلت الصور سيكون لدينا قصة صحفية عظيمة».

لم تسمع مثل هذا المديح من رئيس التحرير من قبل، لذا شعرت بذاتها، واجابته «جريج سيصل فى لحظات، هو يوقف السيارة» وبعد لحظة أضافت «ربما تكن مفاجئة كبيرة» لقد إرتبطت بجريج».

أجابها رئيس التحرير «إذن لم أكن مخطئاً بشأنكما، ورغم المفاجئة، متى سيتم الزفاف؟».

«قريباً».

«ليس قريباً جداً، أتمنى ذلك، ربما أرسلك فى مهمة أخرى».

إبتسمت «غينيا الجديدة، ربما؟».

«ربما، مهتمة بها؟».

«وهل إهتم بشيء آخر؟ لكن سترسل نفس الفريق؟».

رفع حاجبه «تقصدين أنه مستعد؟».

«ربما، ربما نجعله شهر عسل!».

«ماذا سيفعل البعض بالحب! عموماً فكرة طيبة، وهذا يعتمد على ما حققه في اليابان طبعاً».

وصل جريج، وبعد ترحيب سريع وضع حقيبته وأخرج مظروفاً بنيا «طبعت عشرات الصور لتختار منها ما يلائم الموضوع يمكن مشاهدتها الآن، أو لاحقاً».

كان بن رينولدز قد فتح المظروف، «ليس أفضل من الآن».

وأعلن بعد مشاهدته لجميع الصور «يصعب الإختيار كلها جيدة الإرتباط بالموضوع، سنطبع بروفة قبل إتخاذ قرار، دائماً كنت أظن أن الجيشا فتيات مجيدات، وبعضهن يبدين أكبر من الأطفال قليلاً!».

تحرك جريج «ليس الأشياء دائماً كما تبدو، أعجبتك الصور؟».

ضحك رئيس التحرير «تستطيع القول أنها تستحق الرحلة بكل المقاييس! هناك بعض التفاصيل التي أريد إيضاحها يا أليكس».

لم تغادر المجلة إلا بعد الخامسة، ركبت تاكسي إلى الإستوديو للحاق به، وشردت بأفكارها، فلو كان جاداً في إستعجال الزواج يوم عيد ميلاده، سيثير أقاويل البعض عن سر التسرع، ربما سيتوقعون أنها حامل، لكن لا يهم سيكتشفون

سريعاً أنها ليست كذلك، الرحلة إلى غينيا الجديدة ليست قبل نهاية سبتمبر ورئيس التحرير يريد الموافقة خلال إسبوع ورأى جريج!

عندما دخلت الإستوديو إبتسمت لها السكرتيرة الشابة الشقراء اللطيفة «مؤكد أنك أليكس أنا ماندى، إتصل جريج منذ دقائق قائلاً أنه سيتأخر قليلاً، في عمل، ولذا سأنصرف».

أعدت أليكس لنفسها فنجان قهوة وجلست في غرفة الإستقبال بالدور الأعلى.

وجدت مظروف الصور، شاهدت بعض صور الرحلة، وصورها وهي في قارب تسوجي، وتذكرت أن أهالي قرية يسوكيميا عندما ينتهي صيد اللؤلؤ سيكون يوماً حزيناً لهم، لكنه ثمن التقدم، اللؤلؤ الصناعي في نفس حجم وشكل ولون اللؤلؤ الطبيعي، ويحقق أرباحاً طائلة، وفي عديد من البلدان مثل إنجلترا إختفت الصناعات اليدوية بفعل الصناعات غزيرة الإنتاج، ويجب عليها تعميق هذه الفكرة لتكتب عنها موضوعاً صحفياً.

فجأة إجتاحتها رعدة مفاجئة عند مشاهدتها لصورة يوكي مرتدية الكيمونو وعيناها تتلألأ في نظرة شاردة. لم تلحظه وهو يلتقط لها الصورة، وهو أكد أنه لا يحب تذكارات من اليابان في شقته، لكن ربما هي التذكار الوحيد بالمرأة التي أحبها قلبه.

«آسف للتأخير، مؤكد وصلت رسالتي».

«إنتظرتني ماندى، أنا مندهشة لماذا لا تصورها، هي جميلة!».

«فعلاً ذلك، لكنها فاقدة الألفة مع الكاميرا الأفضل أن تتعلق بطموحها الخاص».

«رجل عجوز ثرى؟ ليس يستحق الرجاء».

«يعتمد على وجهة النظر».

«أين تحبين تناول الغذاء؟».

«هنا، لقد شاهدت قطعتى لحم فى الثلاجة».

«هذا ما تمنيت أن تقوليه، تقومين بإعداد الطعام، بينما أغير ملابسى وأستحم».

وهما يجلسان لتناول الطعام سألته «أكنت جاداً بإستعدادك للذهاب إلى غينيا أم كنت تمزح؟».

«أنا لا أمزح فى العمل».

«لو وافقت بن رينولدز سيطير من الفرح».

«متى ستكون؟».

«نهاية سبتمبر، بعد شهر».

«لنأكل أولاً».

وهما يشربان القهوة، طلب منها الإنتقال إلى شقته سريعاً حتى قبل إتمام الزواج، وبعد إلحاح وافقت.

عندما جاء يوم السبت أصبح ضرورياً إنهاء ترتيبات كثيرة للزفاف وعيد الميلاد، وحفل الاستقبال الذى سيقام فى جناح خاص بفندق ريتس، وسيحضر والد جريج ووالدته، يوم الخميس، لقد تحادثت أليكس مع أمه تليفونياً، سيلفيا وايلد كانت سعيدة جداً.

عندما هبطت السلم صباحاً، إبتسمت لها ماندى «هنا خطاب لجريج، لقد ذهب قبل إستلامه».

تناولته أليكس منها، لمحت طابع البريد اليابانى كان العنوان

مكتوباً بخط صغير منظم وجميل، وتخيلت وجه يوكى الجميل المتناسق، لكنها تشاغلت بإتصالاتها، وفى الساعة الواحدة قررت أن تعرف لماذا أرسلت يوكى الخطاب بهذه السرعة.

إتصل بها تليفونياً معتذراً عن التأخير، «هناك خطاب من يوكى، إقرأيه لو أردت».

«أنا لا أقرأ اليابانية».

«إنه مكتوب بالإنجليزية».

إلتقطت الخطاب، أخرجت الورقتين بدأت خطابها بالأدب الجم والتحية والسؤال عن الصحة والأحوال، وعن والديه، لكن الفقرة الأخيرة:

«لقد قررت بعد كل تلك الأعوام أن الحب حب رجل يسبق الواجب، فقط يجب أن تجعل والدى يفهمان عاطفتى، جريج أملى وثقتى فى محاولتك، عندما تقرأ هذا الخطاب، ساكون قد غادرت طوكيو، لقد ضيعنا وقتاً كثيراً، يا صديقى العزيز، والحياة قصيرة جداً».

بإرتعاشات أصابعها طوت الخطاب وأعادته لمظروفه، وتخللها ألم لاذع، يوكى فى طريقها إلى إنجلترا، لتقابل حبيبها أخيراً، ليس خطأ جريج، لقد تركها هنا تقرأ الخطاب لأنها أفضل وسيلة لإخبارها بقراره الجديد!!

ماذا إذن الآن؟ يجب إيجاد شقة جديدة بدلاً من شقتها التى سلمتها لمالكها، شعرت بإنهيار حقيقى، كانت بجوار النافذة عندما عاد جريج «حزينة! لماذا؟ هيا لقد حجزت مائدة للعشاء الساعة الثامنة».

لم تجبه، فأضاف «أليكس، ماذا حدث؟».

كانت ضحكتها مريرة «أتسألنى بعد أن تتيح لى قراءة

خطاب يوكى ؟ » .

« عن ماذا تتحدثين ؟ » .

« لا تتظاهر، أعرف مشاعرك الحقيقية ، فقط لا تسألنى أن أتعاطف معها ، مؤكد هى فكرت قبل هذا القرار! » .

« أتظنين أنها قادمة هنا ، لىّ ؟ » .

« أليس هذا ما قالته ؟ » .

« لا ، ليس هذا ، هى الآن فى نجاساكى مع الرجل الذى ستتزوجه أخيراً » .

« لكنها قالت لىّ ... » .

« قالت ماذا ؟ » .

« أن الرجل الذى تحبه محظور عليها الزواج منه فهمت أنها تقصدك » .

إبتسم لها « عائلة الرجل الذى تحبه لها عداء قديم لعائلة أسرتها منذ مئات السنين » .

« لكنك كنت تحبها !! » .

« قلت لك من قبل ، هناك أنواع من الحب ، ما أشعر به ناحيتها ، خلاف شعورى ناحيتك » .

أخيراً « ماذا تشعرين يا أليكس فعلاً ؟ » .

« أحبك ، لن أتخلى عن حبك أبداً مهما طال بى العمر ، ياجريج ، فقدت كنت عميت عن رؤية الحب الحقيقى » .

« أحبك ، أنت وحدك ، يوكى مثل أختى » .

« لكنك الحب الوحيد الحقيقى فى حياتى » .